٢١١

HARLEQUIN

روايات احلام

الثمن

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com

مرمورية

الثمن

• ليس لديها مال أو عمل أو بيت يأويها... كانت بيفن ضائعة لا تعرف إلى من تلجأ لمساعدتها حتى انهارت بين ذراعي غريب تولى أمر مصيرها كله...

وضعها جيرفيه ديفلرز في شقته وأصغى إلى مشاكلها وعرض عليها حلوله. فهل تراه لا يتوقع شيئاً في المقابل؟ أم أن هناك ثمناً عليها أن تدفعه مقابل المساعدة؟

www.rewity.com
روايتي

لبنان : ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين : ١ دينار
سوريا : ٧٥ ل.س.	السعودية : ١٠ ريال
الأردن : ١,٥٠ دينار	مصر : ٥ جنيه
الكويت : ٧٥٠ فلس	المغرب : ١٥ درهم
الإمارات : ١٠ دراهم	تونس : ٢ دينار
قطر : ١٠ ريال	عمان : ١ ريال

ISBN 9953-15-032-X

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Destined to Meet
First published in Great Britain 1992
Harlequin Mills & Boon Limited
© Jessica steele 1992
Translation © Dar El-Farasha- 2001
ISBN 9953 - 15 - 032 - x

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ - ١ - ٩٦١ - بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

١ ـ منزل في مهب الريح

ـ انتبهي لخطوتك! هذا منزلي.. تذكري هذا جيداً؟

وكيف تنسى! ففي صوت زوجة أبيها الكراهية المعتادة، كما لم يفت بيڤن ملاحظة لهجة التهديد! لكنها لأول مرة لم تعرها التفاتاً. كانت ترتعش برداً وتشعر بألم في كل أطرافها.

قالت وهي تئرنح: «سأذهب إلى الفراش».

كانت تتجه إلى المطبخ لإحضار زجاجة ماء ساخن، حين رن جرس الهاتف.

رفعت زوجة أبيها السماعة لترد على الهاتف كما اعتادت أن تفعل منذ انتقالها للإقامة معهما.

تنهدت بيڤن.. كانت تمتعض من تصرفات أيرين بيمبرتون، إلا أنها تقدمت لتأخذ السماعة منها، وقالت: «آلو».

كانت تشعر بتعب شديد، فلم تعترض على وقوف أيرين قربها استعداداً لسماع كل كلمة تقولها.

ـ آلو.. بيڤن، هذا أنا. أوليڤر.

حاولت الرد.. لكن فاجأتها نوبة سعال، فقال بلهفة: «أمصابة بزكام؟».

قللت من أهمية ما تشعر به بعد أن استردت أنفاسها: «قليلاً».

تطوع أوليفر تايلور، الصيدلي بالحضور إليها على الفور: «سآتيك بالدواء».

أسرعت تؤكد له:

- أوه.. لا داعي لهذا.. سأنام باكراً.. وسأكون أفضل حالاً في الصباح.

رد بصوت قلق: «هل أنت متأكدة من ذلك؟».

ولم يغير الموضوع إلا بعد ما أقنعته بيڤن أنه مجرد زكام بسيط، وبدأ يطلعها على سبب اتصاله بها.

- في الواقع.. تعرفين أنني كنت أفكر بأخذ إجازة لمدة أسبوع.. وجدت شخصاً يحلّ مكاني ابتداءً من يوم السبت.. و.. حسن جداً، كنت أتساءل إن كنت ترغبين بمرافقتي.

- أوه.. لا أعتقد..

قاطعها بسرعة: «سأكون صريحاً. تقول أمي إن الوقت حان لأزورها. وأعرف أنها ستفرح برؤيتك».

- أوه.. يا الله!

فكرت بيڤن بحزن ثم قالت: «آسفة أوليفر. لا أشعر برغبة في الذهاب الآن».

لمحت نظرة زوجة أبيها المنجهمة وعادت تكلم أوليفر:

- إضافة إلى ذلك...

تعاطف معها بسرعة كعادته:

- أفهم.. بالطبع أفهمك.. لكنني فكرت أن تغيير الجو سيفيدك بعد موت أبيك والمشاكل الأخرى التي تواجهينها.

استجمعت قواها لترد عليه وفي هذا الوقت انضم إلى متاعبها الأخرى صداع نصفي.

- أشكرك على هذه المبادرة.

- أواثقة أنت من أنك لا ترغبين...؟

- شكراً لك على أي حال.

- سأتصل بك حين أعود.

- أتمنى لك عطلة ممتعة!

أقفلت السماعة ثم ذهبت تفتش عن أقراص أسبرين.

لحقت بها أيرين لتسخر منها:

- هل خشيت أن أغيّر أقفال المنزل وأنت مسافرة؟

بدا واضحاً أنها فهمت أن أوليفر تايلور كان يطلب من ابنة زوجها، البالغة اثنين وعشرين سنة، أن تسافر معه إلى مكان ما.

ردت بيڤن: «كان بإمكانك أن تفعلي هذا اليوم، وأنا في الخارج».

لقد كرهت الجو المخيم على منزلها منذ عادت زوجة أبيها إليه...

ابتلعت قرصين من الأسبرين، وملأت زجاجة ماء ساخن، وصعدت السلم إلى غرفتها.

كانت تظن أنها ستنام على الفور، ولكن حجم متاعبها عسّر عليها النوم وجعله مستحيلاً. تذكرت أباها، وانهمرت على وجنتيها دموع الضعف. فمسحتها وحاولت التفكير بأوقات أكثر سعادة.

تساءلت متى شعرت بالسعادة آخر مرة! وأدركت أنها كانت سعيدة حين كانت أمها حيّة. أمها التي كانت تسميها «معجزتها الصغيرة» فقد تزوج والدها في سن متأخرة، بأمها البالغة من العمر وقتذلك التاسعة والثلاثين. وبعد زواجهما بسنة انجبا بيڤن. لبضع ثواني استمتعت بيڤن بذكرى أمها الجميلة ذات الشعر الأصهب الذي أورثتها إياه، وذات الابتسامة السخية المحببة التي كانت تقابلها بها حين تعود من المدرسة... استولت على بيڤن نوبة سعال أخرى.. فاختفت صورة أمها الضاحكة العينين.. لتحل محلها ذكرى أبيها وهو يقول لها إن أمها التي

كانت تعلمها كيف تسير في الطريق بأمان، تعرضت لحادثة سيارة.. وقتلت.

لم تعد الحياة كما كانت بالنسبة لبيڤن. يومذاك كانت في الحادية عشرة.. ما زالت تذكر كيف أن أباها، الكثير الابتسام، لم يعد يبتسم لأحد لمدة ثلاث سنوات.

لكنها كانت تظن أن الأمور ستتحسن. وفي سن الرابعة عشرة، التقى والدها بأيرين سميث، وتزوجها بسرعة.. لكنهما واجها خيبة أمل.

أيرين التي كانت متزوجة من قبل، كانت تناهز الخمسين من عمرها، وتعرف ما تريده.. بينما ظن أدموند بيمبرتون، المحاسب المتقاعد ذو الدخل المرتفع بفضل استثمارات ممتازة، أن أيرين كانت تريده لشخصه... ولكن سرعان ما اكتشف حين عاشا تحت سقف واحد أنه قد أخطأ في التقدير... فعلم أن أيرين لا يهمها إلا ماله... واكتشفت هي، أنه ليس مستعداً للتخلي عن أكثر من نفقات المنزل.

وهكذا راحا يتشاجران كثيراً بسبب القضايا المادية... وتملك بيڤن نوبة سعال أخرى.. حاولت أن تجلس لكنها شعرت بالإرهاق وارتفاع الحرارة، فعادت تستلقي وتبعد عنها زجاجة الماء الساخن.

أغمضت عينيها، لكن صورة الشجار الأخير بين والدها وأيرين لم تفارق أفكارها، فعجزت عن الاستسلام للنوم.

تناهى إلى مسامع بيڤن صوت أيرين تقول لأبيها:

ـ أنت لست سوى عجوز بخيل!

توقفت بيڤن عن كتابة فروضها عندما سمعت صوت والدها يرتفع. لكنها سمعت أيرين تردّ صارخة:

ـ سأنتقم منك! ولو في آخر يوم في حياتي.. سأنتقم منك!

رد أدموند بيمبرتون صارخاً: «لا تترددي إن استطعت!».

وجفلت أيرين.

تركت زوجة أبيها المنزل في اليوم التالي.. وهي التي دخلته منذ سنة فقط، إلى البلدة المجاورة «ديرهام». وما سمعه أدموند عنها بعد ذلك، كان رسالة من محاميها، تطلب فيه نفقة شهرية كبيرة.

أوكل والدها القضية إلى محام، لكن الأتعاب كانت باهظة فقرر أن يفاوضها بنفسه.. ومع أنّ هدر المال كان يحزنه، إلا أنه وافق في النهاية على رقم يدفعه في سبيل إبعاد تلك المرأة المريعة عن منزله والتهرب من دفع أتعاب المحامين إن هو رفع قضية طلاق.

ولم يمض وقت طويل حتى راحت صحته تتدهور.. ومع أن أيرين كانت تفاوض لزيادة نفقتها من وقت لآخر، لم تكن فكرة عودتها إلى المنزل واردة قطّ.

كانت بيڤن تميل إلى الأرقام ميلاً فطرياً طبيعياً وكانت تنوي أن تتلقى دروساً في المحاسبة. لكن، حين بدأت صحة أبيها تسير من سيء إلى أسوأ، اضطرت إلى ملازمته والعناية به.

قال لها يوماً، حين كان في مزاج لطيف:

ـ سأعوضك عن هذا.. هذا المنزل، وكل استثماراتي.. كل ما أملك.. ستكون لك في يوم ما.. لقد اهتممت بهذا الشأن.

توسلت بيڤن إليه: «لا..! أرجوك لا تتكلم هكذا».

ولم تستطع تحمل التفكير في أنه سيموت ويختفي من حياتها.

ورد عليها: «لا تحزني هكذا يا ابنتي.. يجب أن نتكلم عن هذا».

عادت تتوسل: «أجل.. لكن ليس اليوم».

امتنع عن الكلام بالموضوع حين رأى إلى أي مدى أزعجها هذا الحديث.. ومذ ذاك الوقت لم يعد إلى ذكر هذه المسألة.

كانت تمرّ به أيام تكون فيها صحته جيدة وفي أيام أخرى كانت تسوء... وكان طبيب أدموند بارعاً، يزوره بانتظام، ويصف له أدوية

خاصة كانت بيڤن تشتريها من الصيدلية في «آبوت تشيني». ولم تواجه مشكلة في صرف وصفة الطبيب إلى أن تقاعد الصيدلي العجوز، وجاء رجل آخر لإدارة الصيدلية.

هكذا التقت أوليڤر تايلور المالك الجديد لصيدلية القرية.

كان شاباً طويلاً في الثلاثين من العمر... يومذاك نظر إلى ابنة العشرين، البنية العينين، الشقراء الشعر وصاحبة البشرة الصافية نظرة تعبّر عن رغبته في مساعدتها.

ـ هذه الوصفة لأدموند بيمبرتون؟

ـ إنه أبي.

وبدأت تستعد لتقول إن من المستحيل على أبيها أن يأتي ليشتري الدواء بنفسه، حين أدركت أن الصيدلي يعرف هذا.

ـ أخشى ألا يكون كل المطلوب موجوداً. لكنني أتوقع أن يصلني بعد ساعة.

وكأنه أدرك أنها لا تحب أن تترك والدها وقتاً طويلاً فأكمل قائلاً:

ـ سأحمل إليك الدواء ما إن يصل.. إذا أحببت.

ـ أوليس المنزل بعيداً عن طريقك؟

ابتسم: «بالتأكيد لا».

وهكذا تعرفت بيڤن إلى أوليڤر تايلور.

أصبح صديقاً طوال السنتين التاليتين. وكان يزورها دائماً لساعة أو أكثر بعد عمله. والواقع أنه عدا الطبيب والممرضة، لم يكن يزورها الكثير من الناس، وهذا ما جعل والدها يرحب بزيارات أوليڤر التي كانت تغيّر رتابة الأيام.

حضر أوليڤر إلى جانبها فوراً حين مات والدها منذ ثلاثة أسابيع، وسرّت بيڤن بوجود صديق تستطيع الاعتماد عليه. ثم شارك بجنازة أبيها، مع عدد قليل من الناس، وكان حضوره مصدر سرور لها في خضم

تلك الأزمة.

نشر إعلان موت أدموند بيمبرتون في صحيفة «ديرهام كرنيكل» ومع ذلك، لم يظهر لأيرين أثر في الجنازة، وهي القارئة الدائمة لتلك الصحيفة.

عاد السعال يزعج بيڤن، لكن أفكارها عادت إلى ما أحست به حين لم تحضر أيرين الجنازة، فقد ثبت لها أنها تفتقر إلى الذوق والأخلاق... إلا أنها على الأقل كانت صادقة. فلا هي ولا الرجل الذي تزوجته كانا يطيقان رؤية بعضهما بعضاً، لذا من الهرطقة بالنسبة لها أن تحضر جنازته.

لكن بعد أربع وعشرين ساعة، صدمت بيڤن بأفكار أخرى عن صدق زوجة أبيها.. صدمت إلى درجة التساؤل عما إذا كانت أيرين تعرف معنى كلمة الصدق.

تذكرت بيڤن بألم كيف أنها كانت في غرفة أبيها تجبر نفسها على ترتيب ثيابه وطويها، حين سمعت رنين جرس الباب.

نزلت السلم لتفتح.. لكن حين رأت زوجة أبيها تقف عند الباب، رفيعة الشفتين. أحست أن محنتها قد عادت.

قالت أيرين بصوت مرتفع، وهي تنظر بعدوانية إلى جسم بيڤن النحيل:

ـ أرى أنك لم تسمني.

ثم مرت من أمام بيڤن إلى الردهة في الداخل وكأنها لا تزال تسكن هناك.

لم تتفوه بكلمة فهي تعرف جيداً أنها لن تتمكن من إخراج المرأة البدينة إلى الخارج مجدداً. لحقت بيڤن بها إلى غرفة الجلوس.. وعندئذ أدركت سبب زيارة أيرين.

دخلت زوجة أبيها إلى غرفة الجلوس قبل أن تقرر بيڤن دعوتها

www.elromancia.com

للدخول.

ـ تعرفين أن المصرف جمّد حساب أبيك؟

ـ هذا أمر طبيعي كما أعتقد.

وأدركت بما أن حساب أبيها مجمد، فذلك يعني أن الدفعة الشهرية من حسابه لأيرين مجمدة أيضاً.

قالت أيرين: «طبيعي أم لا.. أريد مالي!».

حاولت أن تقرر ما إذا كان عليها تحرير شيك فوري لها حتى يتم جلاء أمور أبيها.. ولكن أيرين تحوّلت إلى مسار آخر، وأخذت تطالب بالمزيد.

ـ ما دمت هنا، أريد أن أعرف ماذا ترك لي والدك في وصيته؟

كادت بيڤن تسألها: كيف استطاعت أن تنتظر ٢٤ ساعة؟... لكنها أدركت فوراً أن الوقت غير مناسب لمثل هذا الكلام! ولأنها تريد أن تخرج تلك المرأة الشنيعة من المنزل، بدون تبادل الكلام اللاذع.

ردت بهدوء: «أنا لم أطلع بعد وصية أبي».

ولأن والدها كان محبطاً من تعامله مع المحامين، أحست أنها واثقة من أن ما من مكتب محاماة يحتفظ بوصيته. وقالت لأيرين:

ـ لا بد أن المحامي يحتفظ بها.. وسوف..

ـ ليست لديه.. ولا يحتفظ بشيء له!

سألت بيڤن بذهول: «وهل سألت».

ـ بالتأكيد سألت. لا أحد يستطيع أن يخدعني يا فتاة، فلا تنسي هذا أبداً!

أحست بيڤن التي نادراً ما تغضب، بأنها لن تجد صعوبة في طرد تلك المرأة من منزلها.. كيف بحق الله صدق والدها، ولو لوقت قصير، بعد زواجه بأمها «السيدة المهذبة» أنه أحب هذه المرأة الفظيعة؟ ذلك أمر لا تستطيع فهمه. لكن، بيڤن استطاعت بسحر ساحر أن تسيطر على

نفسها لتدرك أنها لو تمكنت من إخراج هذه المرأة من المنزل اليوم، فستعود في اليوم التالي وفي اليوم الذي يليه، والذي بعده حتى تحصل على ما تريد!

هكذا لجمت انفعالها، وقالت بوقار هادىء:

ـ لو أحببت أعطني رقم هاتفك.. سأبحث عن الوصية، وأتصل بك بعد الظهر إذا كان فيها ما يعنيك.

قالت أيرين بوقاحة: «لن أنتظر كما يرضيك! سأساعدك في البحث عنها الآن! لا بد أنها في درج مكتبه. ولا عجب في هذا!».

وقبل أن تستطيع بيڤن منعها خرجت من غرفة الجلوس، كانت تتحرك بسرعة غريبة بالنسبة لامرأة بدينة... وراحت تبحث في مكتب طليقها...

لم يستغرق التفتيش طويلاً.. فقد كان أدموند بيمبرتون رجلاً صريحاً مريحاً.. ووقفت بيڤن وهي تشعر بالغثيان، بباب المكتب.. لا تصدق أن هذه المرأة الشريرة تعبث بمنضدة أبيها.

ثم صاحت أيرين بانتصار: «وجدتها!».

وكادت وهي تخرج على عجل الوصية من المغلف الذي كتب عليه «وصيتي الأخيرة» تمزقها. لكن، ما إن بدأت القراءة حتى بدأ فمها يتجه إلى الأسفل، وبدأت بيڤن تشك في أن يكون والدها قد ترك شيئاً للمرأة التي تزوجها.

أخيراً قالت أيرين بحقد: «النذل اللعين! لم يترك لي بنساً واحداً!».

واكتفت بيڤن بما سمعته من وقاحة.

فقالت بلهجة آمرة: «لقد رأيت ما جئت من أجله.. الآن أخرجي من هنا».

ردت المرأة الشنيعة:

ـ لا تظني أن من دواعي سروري أن أعود إلى هنا يا آنستي المتكبرة المتعالية! أنا ذاهبة. لكنني سآخذ هذه معي.

ولوحت بالوصية في الهواء.

تساءلت بيڤن ما نفع الوصية لهذه المرأة. ولأن الوصية ليست لها لتأخذها، قالت:

ـ سأصورها لك، إذا أردت.

وأشارت إلى الناسخة الصغيرة الموجودة على طاولة إلى جانب المنضدة.. وأكملت:

ـ لكن النسخة الأصلية ستبقى هنا.

اكتشفت بيڤن بعد خروج المرأة أنها كانت ترتجف.. ولم تستطع كذلك التوقف عن التفكير بما جرى. أمسكت الوصية، وأحست بالدموع ترقرق في مآقيها حين عرفت أن والدها وفى بعهده وترك كل شيء لها. ولكنه لم يعدل عن رأيه بأتعاب المحامين، ولم يكلف أحداً ليطبع له الوثيقة، فالوصية كانت مكتوبة بخط يده.

ابتلعت بيڤن دموعها، واتجهت أفكارها إلى أيرين، الساخطة لأنها لم ترث شيئاً.

ربما كان يجب أن تكتب لها شيكاً.. هكذا فكرت في لحظة ضعف.. ثم جمعت نفسها لتدرك أنها لا تملك الكثير من المال حتى يتم تسوية ممتلكات والدها.

كانت بيڤن في الطابق الأعلى بعد ذلك بحوالى الساعتين حين رن جرس الهاتف.. وهي تتساءل عمن يكون، لأنها لم تكن تتوقع أية مكالمة، إلا إذا كان أوليڤر الذي اعتاد أن يتصل بها منذ وفاة أبيها. نزلت بسرعة لترد. ثم تمنت لو لم تسرع، فالمتكلم كان زوجة أبيها.

قبل أن تتمكن بيڤن من مجرد التساؤل عما تريده أيرين الآن، كانت تلك تقول بخبث:

ـ لقد أخذت تلك النسخة من الوصية إلى المحامي.

كان صوتها يخر كصوت هرة وبدت أنها تنتظر أن تستوعب بيڤن هذا

الخبر.

مرة أخرى فكرت بيڤن أنه ليس من السهل خداعها:

ـ حقاً؟

ـ آه حقاً.. الأفضل لك أن تبدئي بتوضيب أشيائك في الحقائب!

لم تستطع بيڤن أن تفهم ما تعنيه أيرين.

ـ أخشى أنني لا أفهمك.

كادت تنهار عندما ردت عليها أيرين:

ـ ولن تفهمي.. هل ظننت أنني قد أتقبل خداع ذلك العجوز الشحيح لي؟

وصمتت، لكن لوقت قصير، ثم وكأنها لا تستطيع إخفاء الأمر أكثر، سارعت ترمي القنبلة:

ـ حسب قول المحامي.. الذي أثق به كل الثقة إن هذه الوصية لا تساوي الورق المكتوبة عليه.. وأنت، يا آنسة بيمبرتون لن ترثي شيئاً.. أما أنا، زوجة أبيك فلي الحق بكل شيء.

شهقت بيڤن: «أنت...؟».

ـ هذا صحيح.. أنا؟ وأنت سوف تفرغين غرفة النوم الرئيسية وتبدئين بتوضيب أغراضك لأنني سأنتقل في الصباح إلى المنزل!

وبهذا، أنهت مكالمتها.

ظلت لعشر دقائق لا تصدق ما سمعت. وبعد ذلك بعشر دقائق بدأ التوتر ينال منها. فسارعت تفتش في دليل الهاتف عن رقم محام يستطيع استقبالها بعد ظهر ذلك اليوم.

ووجدت واحداً.. السيد فورد الذي هو متخصص بالوصايا.. لم يكن لديها وقت لانتظار الباص الذي يتجه إلى ديرهام كل ساعة.. ثم أدركت أنها قد لا تستطيع تحمل أجرة التاكسي إن هي طلبته.. لكنها كانت تعي أنها لن تعرف الراحة حتى تعرف ما لها وما

عليها. فتهديد تلك المرأة الشنيعة بالانتقال إلى المنزل كما تقول.. أمر مريع حقاً!

ابتسمت موظفة الاستقبال:

ـ سيراك السيد فورد الآن.

كانت بيڤن قد وصلت باكراً، وجلست تنتظر لخمس دقائق وهي تشعر بغليان داخلي. أملت ألا يبدو عليها شيء مما تحس به، وتمتمت:

ـ شكراً لك.

ولحقت بموظفة الاستقبال إلى مكتب السيد فورد الذي ابتسم لها:

ـ آنسة بيمبرتون.. تفضلي بالجلوس.

وأشار إلى مقعد، وتقدم يصافحها. كان رجلاً صغير الجسم ودود الابتسامة:

ـ والآن، كيف أستطيع مساعدتك.. ألديك مشكلة مع وصية ما، أهذا ما قلته لي على الهاتف؟

ـ لقد جئت بها معي.

ومدت يدها إلى الحقيبة وأعطته الوصية.. فجأة أحست بالارتباك في التحدث بأمور عائلية مع هذا الغريب.. لكنها قاومت لتتمالك نفسها.. والدها ميت الآن، وإذا لم تدافع عن نفسها فلن يدافع عنها أحد!

ـ لقد مات والدي.. وحين ظننت أن منزلنا.. حسن جداً أنا لم أفكر فعلاً بالأمر حتى اليوم.. ولا بد أنني افترضت أن المنزل لي دون سؤال.. لقد قال لي هذا مرة لكن اليوم جاءت زوجة أبي التي انفصل عنها..

قاطعها السيد فورد، الذي كان يصغي بصمت، بسؤال: «أهما منفصلان قانونياً؟».

ـ لا.. لا أعتقد هذا.

وتذكرت ميل والدها إلى البخل، خاصة في ما يتعلق بالمعاملات القانونية، وأكملت:

ـ لا.. بل أنا واثقة أنه لم ينفصل عنها قانونياً. على أي حال، جاءت زوجته، وأخذت نسخة من هذه الوصية إلى محاميها اليوم، ثم اتصلت بي لتقول إن كل شيء، المنزل وكل شيء لها.

ـ فلنلق نظرة على الوصية.

أخرج الوصية من المغلف، وفيما كان كان يقرأ راحت أساريره تتحول أكثر فأكثر إلى الجد. وما إن انتهى حتى أخذ يهز رأسه ويتمتم استهجاناً... وبدأت بيڤن تتخوف مما هو قادم.

سرعان ما اكتشفت أنها على حق. فقد قال الرجل وهو الخبير في هذا النوع من الأمور:

ـ مع احترامي لوالدك آنسة بيمبرتون.. أتمنى ألا يحاول الناس ادعاء الذكاء هكذا.

ـ هل هي.. ألم يكتبها بشكل لائق؟

ـ مطلقاً.. كلها أخطاء. خطأ كامل.

ـ تعني أن أيرين.. زوجة أبي، على حق؟

ـ هذا ما أخشاه.. فالوصية مليئة بالغموض والجمل المغلوطة.

فكرت بيڤن بقلق: أوه.. لا! لكن عندما أخذ السيد فورد يذكر الأخطاء الواحد تلو الآخر، أخذت بالتدريج تتقبل أن والدها وهو المحاسب ورجل الأرقام لا رجل الكلمات قد جعل الوصية سخيفة تماماً. والواقع أنها عندما قرأت الوصية بدا لها أنه أورثها كل شيء.. لكنها الآن، بعد أن قادها السيد فورد عبر حقل ألغام قانونية بدأت ترى بوضوح أن الوصية يجب أن تُقرأ بطريقة أخرى.. وكأنه كان ينوي أن ترث أيرين كل شيء!

كان السيد فورد ضليعاً في عمله.. فكرر قراءة الوصية مرة أخرى

معها، بحيث رأت أن والدها الذي صحح كلمة أو اثنتين قلب الوصية رأساً على عقب دون أن يعلم. . . فسّر لها السيد فورد مرة أخرى، أين ترك والدها بعض الجمل التي تعني شيئاً مختلفاً تماماً. . كان عليها أن تتقبل أن والدها لو لم يترك وصية، لكانت النتيجة أفضل بكثير لها، على الأرجح.

قال السيد فورد:

ـ لقد مر بي الكثير من مثل هذه الأمور.

مما جعلها تشعر أنه لأمر عادي أن يخسر الورثة الشرعيون إرثهم بسبب وصايا سيئة الصياغة كهذه.

قالت تحتج بلهفة:

ـ لكن، لا بد من وجود شيء أستطيع أن أفعله؟

وكانت ممتنة للسيد فورد، حين أخذ سماعة الهاتف ليتصل ويستشير رجلاً ذا فكر قانوني أكبر من فكره. وقرأ له الوصية على الهاتف. واستطاعت أن تعرف، من ملاحظات المحامي وهو ينهي المكالمة، أن الرجل الذي استشاره له الرأي عينه.

ـ أنا آسف آنسة بيمبرتون. . لقد أيد السير ميتشل وجهة نظري لتوه.

ـ لا أستطيع أن أفعل شيئاً!

وعرفت أن لا جدوى حين هز رأسه نفياً، وقال بوقار:

ـ هذا ما أخشاه. . تستطيعين بالطبع الطعن بمطالب زوجة أبيك. . لكن، يجب أن أقول لك أنني أعتقد أنك ستهدرين مالك سدى.

بدأت بيقن تدرك، أن المال هو شيء تملك القليل منه، أكثر مما كانت تظن. . كان عليها الانتقال من المنزل. كم كرهت مواجهة هذا الواقع الصاعق! فماذا ستفعل؟ كيف تجد مكاناً آخر تقيم فيه؟ كيف تتدبّر مصاريف نفقاتها؟ وعرفت أنها لن تستطيع العيش على نفقتها لأكثر من

ثلاثة أشهر مع التقنين الشديد.

شكرت العناية السماوية لأن هدية والدها الأخيرة لعيد ميلادها كانت على شكل شيك، لعدم قدرته على الخروج من المنزل للشراء.

قالت للمحامي: «يبدو أن ليس هناك جدوى».

وشكرته ثم وقفت.

سألها مشفقاً: «وماذا ستفعلين؟».

أعاد إليها الوصية وسار معها حتى الباب. . وهي تمنع تنهيدة حزن، ردت:

ـ سأعود إلى المنزل لأوضب أمتعتي. .

قال السيد فورد بلهفة:

ـ أوه. . لست مضطرة إلى الانتقال فوراً! المعاملات القانونية لا تنتهي بين ليلة وضحاها. . وقد يمر وقت طويل قبل أن تحصل زوجة أبيك على حق مطالبتك بالرحيل. . سيمضي وقت طويل فعلاً. . قبل تسوية أوضاع ممتلكات أبيك.

كانت تلك المعلومة أكثر ما سمعته في نصف الساعة الأخيرة إشراقاً.

صحيح. . لقد سمعت أن معاملات انتقال الملكية تتطلّب سنة على الأقل. . . وفي بعض الحالات تستغرق أكثر من ذلك. . هكذا صافحت السيد فورد بقلب مثقل ولحقت بالباص عائدة أدراجها إلى «آبوت تشيني» متجهة إلى منزلها.

هذا غير عادل. . غير عادل. . فكرت وهي تدخل وتعيد الوصية إلى حرمتها، إلى منضدة أبيها. راحت تتجول في أرجاء المنزل تلامس الأشياء التي كبرت معها وأحبتها. لكنها لم تستطع أن تتناسى أن أرملة أبيها ستنتقل إلى هنا غداً.

فكرت أن أيرين كانت فعلاً صادقة بعدم حضورها جنازة أدموند بيمبرتون. . لكنها عرفت أن الصدق لم يكن دافعها.

www.elromancia.com

لم يكن قد مر وقت طويل على مودة بيڤن إلى المنزل حين أخرجها رنين جرس الباب من أفكارها التعسة. تفقدت ساعتها وهي تتقدم إلى الباب، فرأت أنها تجاوزت السادسة... إذن قد يكون الزائر أوليڤر تايلور، ففي مثل هذا الوقت يعود أدراجه إلى المنزل.

وكان الزائر، أوليڤر... ومع أنها لا تفكر بأن تخبر أحداً عن صدمتها الفظيعة، ولكنها عرفت أن مظهرها سيفضح أمرها.

قال بلهفة وهي تدعوه إلى الدخول:

ـ تبدين رهيبة المنظر.. بيضاء كملاءة السرير!

وسار معها من الردهة إلى المطبخ حيث وضعت الغلاية على النار لتحضر فنجان شاي، وسألها:

ـ ألم تتحسن حالتك بعد؟

ـ ليس هذا هو السبب. لقد حظيت.. بزيارة.. من أرملة أبي.. إنها..

أدركت أنه يشفق عليها لأنها حزينة على والدها.. أكملت إعداد الشاي وجلست إلى طاولة المطبخ معه ليحتسياه.. وقليلاً قليلاً، كشفت له عن بؤس ذلك اليوم.

قال بلهفة: «لكن هذا ظلم جائر!».

ـ ظلم أم لا.. يبدو أنها ستنتقل إلى هنا غداً. ولها كل الحق بذلك.

تحدثا في الموضوع لدقائق، ثم سأل:

ـ ماذا ستفعلين؟

هزت كتفيها تبعد عن نفسها الفكرة:

ـ في النهاية، وليس غداً كما تتمنى أيرين، سأرحل. أعتقد أن عليّ البحث عن عمل.

أصيبت بصدمة حين امتدت يده عبر الطاولة وأمسك بيدها اليمنى التي كانت تعبث بالملعقة.

رفعت نظرها بحفلة وكان أن تلقت صدمة أخرى. فلم تكن مخيلتها هي التي صورت لها توتره..

اقترح عليها، وهي مذهولة تماماً: «يمكنك.. أن تتزوجيني».

ـ أتزوجك؟

نظرت إليه بدهشة.. لم يكن هناك ما يوحي ولو من بعيد، أن بينهما شعوراً ما حتى الآن.. وبكل صراحة لم تجد كلاماً ترد به.

سارع أوليڤر يقول:

ـ لم أنوِ مفاتحتك بالأمر باكراً هكذا. لقد كنت منهمكة برعاية والدك... كنت أنوي الانتظار.. لكن يجب أن تعرفي حقيقة شعوري نحوك.. و..

أحست بيڤن أنها يجب أن تقاطعه:

ـ أنا.. أنا.. لا أعتقد أنني مستعدة للزواج بعد... أعتذر أوليڤر!

ـ أعلم أنني تسرعت بطلبي هذا.. بعد وفاة والدك.

وبدأت بيڤن تشعر بالاضطراب، ومرة أخرى صَعُب عليها الكلام.. ربما كانت ساذجة بشكل لا يصدق، لكنها لم تدرك أن دوافع زيارات أوليڤر هي إحساسه بمشاعر ما نحوها..

قالت له بضعف: «أنا.. أظن أنني.. سأفتش عن عمل».

وأحست بالراحة حين ترك يدها، وبدا أنه أدرك أنه فعلاً تقدم بعرضه في وقت غير مناسب.

بالنسبة لبيڤن كان الوقت مبكراً جداً على هذا.. نعم هو لطيف ولكنها لم تره، ولن تراه أبداً، على ضوء ما قاله لها.. كانت تفضل لو أنه لم يقل شيئاً ولم يطلب منها الزواج. لقد غيّر كلامه الأشياء، ودفع القلق وعدم الراحة إلى قلبها.

بدأت بيڤن بالسعال مجدداً، وأدركت الآن أن النعاس غلبها، فجلست مستوية عدة دقائق حتى هدأ السعال، وعادت إلى الاستلقاء

www.elromancia.com

مجدداً.

انتقلت ايرين إلى المنزل في اليوم التالي. ومنذ ذاك الحين، تحولت الحياة إلى شبه جحيم.. فهي لم تألو جهداً لإظهار من هي سيدة المنزل. ولم تستطع بيڤن سوى تقبل الوضع.

فتشت زوجة أبيها في كل خزانة ودرج في المنزل واستولت على النسخة الأصلية من الوصية.. كانت تصدر الأوامر، وكأنها توحي لبيڤن أنها، طالما تعيش تحت سقف «بيتها»، ستكون مجرد مدبرة منزل دون أجر.. وبدا أنها تتمتع بتنغيص حياة ابنة زوجها.

ونجحت إلى درجة ما.. فبعدما كانت بيڤن تجد منزلها في «آبوت تشيني» أجمل مكان للسكن.. أصبح الآن جحيماً لا يطاق.. أدركت أن عليها الرحيل. فجو البيت كله تغير. لكن، لسبب ما لم تستطع إجبار نفسها على تركه.. وكأنها تخذل والدها، وكأنها سترحل ضد إرادته.

لكن، لن تخذله إن هي حاولت الحصول على عمل، كما قررت. وإذا وجدت وظيفة ثابتة، فستتمكن خلال ساعات العمل من الابتعاد عن أيرين، ولسانها الحاد.

زارها أوليفر يوماً، وعرفته على أيرين.. لكن حين استولت أيرين عمداً على الحديث، لم يبق طويلاً.

سأل بيڤن وهي ترافقه إلى الباب لوداعه: «كيف تسير الأمور؟».

ردت كاذبة: «على ما يرام».

لكن، ولأن الكذب غريب عليها، غيرت الموضوع بسرعة:

ـ لقد قدمت طلباً لوظيفة.

ـ وما هي؟

ـ حسن جداً.. لست مؤهلة للكثير من الأعمال ما عدا التدبير المنزلي.. لكني وجدت وظيفة باحث للأسواق، في مؤسسة في «إيلنغتون».

وأكملت تذكر بلدة في الجهة المقابلة من آبوت تشيني، من ديرهام.

ـ لكن، لو حصلت عليها، سيكون العمل في ديرهام.

ـ أجل.. لكن ما نوع العمل؟

ـ الوقوف خارج محلات السوبرماركت، وطرح لائحة أسئلة على المارة.. كما أعتقد.

سأل بقلق: «وهل تريدين أن تقومي بمثل هذا العمل؟».

تمنت بيڤن لو أنها تعرف الرد.. إنها غير مؤهلة لشيء، ودون خبرة بالعمل.. لكنها مستعدة للتمسك بأي شيء قد يجعلها تجني المال، هذا عدا الابتعاد عن أيرين. ولو لفترة قصيرة.

ردت عليه: «لست متأكدة.. لكن بما أنها وظيفة مؤقتة، فلن تكون...».

قاطعها متسرعاً: «أستطيع أن أعرض عليك وظيفة دائمة».

ثم تابع حين رأى أنه أحرجها لأنه يطلبها للزواج مجدداً.

ـ يمكنك العمل معي في الصيدلية.. وسأحب هذا.

لا تنكر أنها معجبة به، ولكنها لم تفكر كثيراً بالأمر. فلديه أولاً مساعدتان وهي واثقة أنه لا يحتاج إلى ثالثة.. وثانياً لأنها تحتاج إلى بضع ساعات يومياً بعيداً عن أيرين.. والصيدلية قريبة من المنزل.

وسألت: «هل يمكن أن أنتظر الرد على طلب العمل أولاً؟».

استدعيت بعد يومين إلى مقابلة العمل فأشرق قلبها قليلاً.. لكن كان عليها الانتظار بضعة أيام أخرى قبل أن تتلقى مكالمة هاتفية تخبرها بأنها نجحت.

كانت تشعر بالرضى لنجاحها، وانتقلت مرة أخرى إلى «إيلنغتون» يوم الجمعة الفائت، حيث خضعت لفترة تدريب قصيرة، شملت كيفية تنفيذ استمارات الإحصاءات.. لكن، لسوء الحظ لم يكن طبع الاستمارات قد انتهى بعد، ولسوف ترسل إليها فيما بعد. هكذا،

www.elromancia.com

عادت إلى آبوت تشيني موعودة بالبدء بالعمل يوم الخميس لمدة عشرة أيام.

ما إن حلّ يوم الإثنين حتى أصيبت بلفحة برد قوية. ولأن الجميع يصاب بلفحة برد من وقت إلى آخر، ويستمر في عمله، نظفت المنزل ولمّعت الأثاث، وحضرت وجبة لذلك المساء. بينما كانت أيرين تشاهد التلفزيون.

يومي الثلاثاء والأربعاء، انتظرت بيڤن البريد بلهفة لوصول استثمارات الاستفتاء التي لا يمكن أن تعمل بدونها، لكنها لم تصل.. ويوم الخميس حين أحست بالدوار من جراء زكامها، أملت ألا تصل الاستمارات، كي تتمكن من قضاء يوم الجمعة في المنزل.. لكنها وصلت.

فتحت المغلف تتفحص محتوياته، ثم وضعته في الملف.. بعد ذلك ارتدت ثياباً دافئة.

سألت أيرين بينما كانت بيڤن على وشك مغادرة المنزل: «متى ستعودين الليلة؟».

ـ ليس لدي فكرة.

تلقت نظرة حادة.. وخرجت لأول يوم من عملها المدفوع الأجر، ثم عادت إلى المنزل وهي تشعر بالبرد والمرض والتعاسة..

لذا، لم تكن بحاجة إلى سماع كلام أيرين اللاذع التي سارعت تسألها:

ـ ماذا ستتناول للعشاء الليلة؟

ثارت بيڤن: «أخبريني أنت.. لن أطهو شيئاً الليلة».

ـ راقبي تصرفك! فهذا منزلي! تذكري هذا!

ارتجفت بيڤن في فراشها، ثم هزتها نوبة سعال أخرى. أخيراً استسلمت للنوم تفكر أنها لن تبدأ عملها غداً حتى وقت متأخر، والحمد

لله!

العناد الصرف، وإصرارها على عدم الاستسلام لزكام بسيط، ساعداها على المكافحة للخروج من السرير يوم الجمعة.. اعترفت لنفسها وهي تحضر إبريق الشاي وتبتلع قرصين من الأسبرين بأنها تشعر بالعياء الشديد. كانت تعرف أن بإمكانها أن تتصل بصاحب عملها المؤقت لتخبره بأنها متوعكة الصحة.. لكن ما منعها من هذا، هو عدم توفّر الكثير من الأعمال لها وعدم رغبتها بأن يظنّ بأنها غير جديرة بالثقة. إضافة إلى هذا، ما إن يصبح اسمها في كشوفات موظفي المؤسسة، حتى يمنحوها المزيد من العمل في القريب العاجل.

دخلت أيرين إلى المطبخ، مرتدية عباءة واسعة، فقالت متذمرة:

ـ كان بإمكانك أن تحضري لي فنجان شاي إلى غرفتي!

خرجت بيڤن بفظاظة من دقائق الهدوء والراحة ولم يتحسن زكامها بعد. وأحست أنها لم تعد تقو على التحمّل.

ردت: «اجلسي لأغني لك أيضاً!».

تلقت هجوماً عنيفاً على كلامها إذ صاحت تلك المرأة بصوت حاد يخرش الآذن، كاد يشق رأس بيڤن المتألم.

ـ هذا يكفي! أيتها الساقطة المهينة! يا الله، هل هذا جزائي! سأتصل بالمحامي اليوم! وما إن تتحول ملكية هذا المنزل لي، حتى أطردك إلى الشارع! وبأسرع وقت ممكن لو استطعت!

لم تكن بيڤن تعرف ما إذا كان بإمكانها البقاء في بيتها القديم حتى ذلك الوقت.. هكذا، أخذت فنجانها معها، وأيرين ترمي الإهانة تلو الإهانة، وصعدت إلى غرفتها لتبقى فيها حتى يحين وقت الذهاب إلى ديرهام.. أوه.. ليت أباها كتب وصيته بطريقة لائقة.

ظلّ الشجار مع أيرين، والتهجم الصارخ، والتفكير في أبيها، يحتدم

في رأس بيڤن وهي واقفة في الشارع الرئيسي من ديرهام.. في هذه اللحظات شعرت بأنها مستعدة لتتخلى عن أي شيء مقابل فراش دافىء.

لكنها ليست في فراش دافىء، والريح اليوم تعصف أكثر مما فعلت بالأمس والبرد الشديد يكاد يصيبها بالدوار.. قاومت بيأس لتتماسك.. كانت مهمتها ذلك اليوم أن تسأل الناس المصنفين في مجموعات مختلفة. كان عليها أن تستجوب أولاً متبضعات تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين، ثم من لهن ولدان. أما المجموعات الأخرى فقد كانت بسيطة. لكن الأزواج الأربعة من المهنيين المتقاعدين، استغرق سؤالهم وقتاً أطول مما كانت تظن.. ولم يبق عليها سوى استطلاع رأي اثنين من رجال الأعمال على أن يكونا في أواخر الثلاثينات من العمر.. لكنه كان بعد ظهر يوم الجمعة، فأين تجد ما تريده؟

بدأ رأسها يدور مرة أخرى.. فتشبثت بلوحة الكتابة والملف، وكافحت لتسيطر على نفسها. وفيما كانت تتغلب على دوارها، وتتمالك نفسها مجدداً، تذكرت أن هناك خياطين للرجال في الناحية الأخرى من الشارع الرئيسي. ارتدت على عقبيها، وكانت على وشك السير إلى الطرف الآخر من الشارع، حين توقفت فجأة سيارة طويلة مصقولة أنيقة، وخرج منها رجل طويل، أشقر الشعر، رياضي البنية، في الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً.. كان من الواضح على الرجل أنه ليس فقط صاحب مهنة، بل أنه من الطبقة الأرستقراطية أيضاً.

وفيما كان يستدير ليقفل باب سيارته، تحركت بيڤن إلى الأمام، وهي تعرف أن عملها لن يتم معه، إذ بدأ السيد يسير بخطوات سريعة.. لكن وهو يمر من أمام السيارة ثم إلى الرصيف، بدا أنه أدرك أنه أوقف سيارته أمام أبواب وكالة سفر.. فتوقف، وبدا متردداً.

أحست لسبب ما أن تردده أمر غريب.. راودها إحساس بأنه رجل

يعرف دائماً إلى أين يتجه.. لكن، لا وقت لديها لتمضية الوقت بالتفكير في أمور لا علاقة لها بعملها.. هكذا، وبشيء من النشاط، تمكنت من اللحاق به، وهو على وشك التحرك مجدداً.

جذبت اهتمامه: «عفواً!».

صوتها أجش، أنفاسها متقطعة.. لحسن حظها توقف ونظر إليها. وعندما رفعت نظرها إليه، فكرت بسرعة أنه يبدو ضجراً من كل شيء.. لكنها حين أسرعت لتلحق به، أضرت بنفسها.. وراحت تتصبب عرقاً ونسيت ما يجب أن تقوله:

ـ أتساءل ما إذا كنت لا تمانع...

لم تستطع التفوّه بغير تلك الكلمات، قبل أن تهاجمها موجة دوار أفقدتها السيطرة، وأحست بنفسها تقع.

لحسن الحظ، وقعت إلى الأمام.. عليه. وكان مرناً، قاسياً، وصلباً. وسمعته يقول من فوق رأسها: «أبداً».

وأخذ لوح الكتابة منها، وأردف:

ـ لكن.. أرى أنك بحاجة لبعض الراحة في مكان ما أولاً...

من الواضح أنه رجل عملي، ولأن مقعد سيارته هو الأقرب... فتح باب السيارة وأسندها إليه ثم دفع بجسمها المتهاوي إلى الداخل وهي لا تكاد تعي ما يحصل.

بالتدريج، أخذت موجة الدوار تزول. وبدأت بيڤن تشعر بالتحسن، لوجود شيء صلب تحتها.. بعد قليل، أدركت دون ذعر، أنها محجوزة في سيارة الرجل الغريب، في مقعد السائق الذي لم يكن يقود السيارة بل يلتفت إليها.

قالت بصوت متكسر: «أنا آسفة».

لم تتعرف إلى صوتها... وكأنه ليس صوتها... قاومت لتستجمع قواها وتخرج إلى الريح الباردة مرة أخرى.

قال: «أنت مريضة.. إذا قلت لي أين تسكنين، سأوصلك إلى منزلك».

فكرت باكتئاب: منزلي.. ووجدت نفسها تقول له، وبكل سخافة: «لقد سلب مني الآن!».

سأل: «ما الذي سُلِب؟ منزلك؟».

أحست بالدوار مجدداً.. وتمتمت: «أنا آسفة».

تغاضت عن سؤاله وأضافت لترفع عنه أي إحساس بالمسؤولية:

ـ لم أتوقع أن أغيب عن الوعي.

وجمعت كل ذرة استطاعت أن تجدها من القوة، ومدت يدها إلى مقبض باب السيارة.. لكن يدها عادت فوقعت إلى جانبها بسبب موجة دوار جديدة.. اعتذرت مجدداً وهي تقاوم لتبقى في وعيها:

ـ أنا آسفة.. لا أعتقد أنني أكلت شيئاً اليوم.

سألها بحدة: «ألا تذكرين؟».

لن تستطيع أن ترد ولو كانت حياتها متوقفة على الرد. فقد أحست بضباب يلفها... وبدفء جميل داخل السيارة... أرادت أن تنام وتنام. أغمضت عينيها لحظة لكنها فتحتهما مجدداً حين مال الرجل من فوقها.. وعادت تغمض عينيها حين رأت أنه يربط حزام الأمان حول خصرها... من الواضح أنه اتخذ قراراً.

كانت لا تزال مغمضة العينين حين سمعت محرك السيارة يدور.. فحاولت أن تفتحهما وهي متعبة. ترى ماذا يفعل؟ أيحرك السيارة ليخرج بها من الموقف؟ لكن السيارة انطلقت مسرعة يقودها الغريب وهي معه. أطبقت عينيها مجدداً.. وأغرب ما في الأمر أنها لم تشعر بأي خطر. حملها من الشارع وأدخلها إلى السيارة وانطلق بها... والأغرب هو أنها أحست بالسلام والأمان، أكثر مما أحست به منذ زمن طويل!

***

٢ ـ غريب ولكن..

كانت بيڤن مستغرقة في النوم حين توقفت السيارة.. وأزعجها شيء ما. وحين لفحها هواء المساء البارد، بدأت تسعل.. ففتحت عينيها.

كان الرجل الغريب الذي أوصلها، قد أخلى مقعد السائق، وجاء إلى جانبها.. حاولت أن تتماسك وهو يفتح لها الباب ويميل مرة أخرى فوقها ليفك حزام الأمان.

أشاحت وجهها عنه بسرعة لئلا تسعل في وجهه. ولتستطيع حبس سعالها شهقت بقدر ما تسمح لها أنفاسها: «أنا آسفة».

سأل متجاهلاً اعتذارها: «هل تستطيعين الخروج لوحدك؟».

ردت: «أجل».

وشغلت نفسها بالتركيز لئلا يظهر عليها أنها تفضل ألا تتحرك.. وفي الوقت عينه أخذت تحاول السيطرة على نوبة سعال تصر على أن تفلت من السيطرة. وقالت بصوت أجش حين أحست بيدين قويتين تساعدانها: «شكراً لك».

ثم تكسرت أنفاسها إذ انتابتها موجة سعال جديدة هزّتها كلياً.. قرر أخيراً: «تعالي.. دعينا ندخلك».

لم يكن لدى بيڤن سوى طاقة قليلة، فكان أن أذعنت بسرعة فلم تجد في صدرها أنفاساً لتتكلم.. لكنها نظرت حولها لترى إلى أين يأخذها، كانا يتجهان إلى مدخل بناء سكني أنيق.. طول الوقت أبقى الغريب يداً

www.elromancia.com

داعمة على ذراعها، وسرعان ما أصبحا في الداخل، في ردهة أبهرتها أنوارها، فيها بعض المصاعد..

سألت: «أين نحن؟».

رد باختصار: «في شقتي».

وضغط بإصبعه على زر المصعد.

- أما زلنا في ديرهام؟

أعاد انتباهه إليها، ولكن تعابيره بدت باردة، لا عاطفة فيها:

- في الجانب الشمالي منها.

أدركت أن هذا هو أفخم جانب في البلدة. ولأنها تعرف القسم التجاري، فإن الجانب السكني لم يكن مألوفاً لها.

سألت: «هل ستكون زوجتك في المنزل؟».

ورغم حاجتها للاستلقاء في مكان دافىء ومريح، كان رأسها يحاول تجاهل غريزتها اللاواعية. فخبرتها بالرجال مقتصرة على علاقتها بأوليفر تابلور، وبعض شبان المدرسة.

وجدت أنها ترفع رأسها لتنظر بقلق إلى عينين رماديتين جميلتين ومتفهمتين.

قال بلهجة صارمة: «لست متزوجاً.. وأنت لست كذلك، فأنا لا أرى خاتماً في إصبعك».

رفعت نظرها إليه، تلاحظ بذهول أنه شديد الملاحظة: «لقد خرجت على قدميك.. والواضح لكل من يراك أنك استنزفت كل قواك، وأنت واقفة، تنفذين عملك.. والواضح أيضاً أنّ ما من أحد يعتني بك أو يهتم لأمرك، وإلا لما سمح لك بترك السرير اليوم.. وبما أنك اخترتني، فبإمكانك الاستراحة عندي لبعض الوقت، وبعدما تستعيدين قوتك، وتشعرين أنك قادرة على تمالك نفسك فسأعمل على إيصالك إلى حيث تعيشين.. وإذا كنت تفضلين، أرسلك في سيارة أجرة».

وصل المصعد.. كانت بيڤن تنظر إليه بعينين بنيتين واسعتين، حين ابتسم فجأة.. وشُلت قواها.. لم تشاهد من قبل مثل هذه الابتسامة المليئة سحراً.

- ثقي بي! أتظنين أنني قد أخاطر بالتقاط العدوى منك؟

تمتمت بصوت خشن: «إذا كان هذا حقيقة ما تفكر فيه... فلا بأس!».

ودخلت المصعد.. وهي تشعر بفراغ في رأسها... كانت تدرك في الوقت عينه، أن لهذا الزكام الثقيل أعراضاً غريبة، لأنها، وهذا هو الأكثر غرابة، كانت تحس بخفة في قلبها!

إنه على حق في ما قاله عن استنزافها لقواها والخروج للعمل وهي بهذه الحال. توقف المصعد في الطابق الثالث، والأخير.. ثم اقتادها عبر ممر طويل.. كانت تشعر بتشوش الذهن والتلاشي مرة أخرى.

رأت نظرته إليها وهو يفتح باب شقته، لكنها كانت أكثر اهتماماً بألا تفقد وعيها، من الرد على نظرته. وأحست بالامتنان لدعم ذراعه المفاجىء.

- هل أخلع عنك معطفك؟

- أشعر بالبرد قليلاً، في الواقع.

ونظرت إليه، فرأت أنه يتقبل واقع أنها لا تزال تشعر بالبرد في شقته الدافئة.

- تعالي واجلسي على أي حال.

وقادها إلى أريكة، كانت نعمة من الله، وكأنها فراش من ريش.

سألها الرجل: «هل راجعت طبيباً؟».

- لا داعي لذلك.. إنه زكام ثقيل فقط.

- يبدو لي أنها انفلونزا.

- وهل أنت طبيب؟

ـ لا.

جاء صوته من مسافة بعيدة، ونظرت حولها لتراه يختفي في باب آخر.

يجب ألا أكون هنا.. لكن قواها الخائرة لم تساعدها على القيام بأي شيء.. وبدأت تشعر بدفء أكبر.. نظرت حولها، ورأت أن غرفة الجلوس مفروشة بأثاث فاخر أنيق.. واضح أنها غرفة جلوس رجل، نظيفة ومرتبة، لا شيء فيها في غير محله.

عاد الرجل، لكن ليطمئن عليها: «هل أنت بخير؟».

هزت رأسها، وسمعت صوتها يقول:

ـ هل تعتني بمنزلك بنفسك؟

رأت سحره ثانية وهو يهز رأسه:

ـ لقد وصلت في يوم جيد.. لدي امرأة ممتازة تأتي لتنظف الشقة كل يوم جمعة.. بعد ذلك يزداد الأمر سوءاً حتى يوم الجمعة التالي.

لم تصدقه بيقين.. لكنها لم تقل له ذلك لأنه اختفى مرة أخرى. وبدأت تشعر بمزيد من الدفء.. خلعت شالها وفكت أزرار المعطف.. الحمد لله أن سعالها هدأ قليلاً ولكنه قد يعود في أية لحظة.

نظرت بشوق إلى ذراع الأريكة. وفكرت أن أروع ما في هذا العالم هو أن تريح رأسها المتعب عليه.. ولو كانت في منزلها لفعلت.. لكنها ليست في منزلها.. وعلى أي حال، لم تعد تجد الراحة حتى في منزلها.

لجمت دموع ضعف كادت تسقط... وأحست بخوف مفاجيء من الاستسلام إلى نوبة بكاء مرّ أمام هذا الرجل.

يا الله! جمعت شتات نفسها.. هذه الانفلونزا تسلبها معنوياتها! وأغمضت عينيها، وأخذ رأسها يقترب ويقترب من ذراع الأريكة.

ـ لقد صنعت لك بعض الحساء!

أجفلها صوت الغريب، الذي لم يعد، لشدة عجبها، يبدو غريباً.

ـ أنت مرهقة.. أليس كذلك؟

وأخفض الصينية التي يحملها إلى ركبتيها وقال مقترحاً:

ـ أدخلي شيئاً من هذا في جوفك، وستشعرين أنك أفضل حالاً.. أنا واثق من هذا.

سألت: «هل أعددتها بنفسك فعلاً؟».

وكان عدم التصديق بادياً عليها وهي تغرق الملعقة في الطبق المليء بألذ حساء.

قال معترفاً: «ليس بالضبط.. لكنني فتحت العلبة».

لم تدرِ بيقين كيف استطاعت أن تضحك.. لكن في ذلك الرجل طبع تتجاوب معه بشكل عفوي تلقائي.. رفعت نظرها إليه فرأت أن نظرته كانت على فمها المبتسم، ثم تحركت عيناه إلى عينيها.. وتشابكت نظرتيهما...

قال بعفوية: «هكذا أفضل.. لقد ارتدَّ بعض اللون إلى وجهك».

أنهت الحساء وردت:

ـ أشعر بمزيد من الدفء... والسبب بلا ريب هو ألذ وجبة تمتعت بها منذ أمد طويل.

وشكرته.. فقال: «سأقول هذا للطبّاخ».

وأخذ الصينية وأعادها إلى المطبخ، وعاد ليقول:

ـ إذا كنت تريدين الانتفاع بدفء المعطف حين تخرجين، فمن الأفضل أن تخلعيه الآن.

الآن، هو الوقت المناسب لتشكره بكل صدق وحرارة على كل ما فعله لأجلها.. ولتقول له إنها ستخرج الآن... لكن هذا المكان مريح. أما منزلها فلم يعد مريحاً. في منزل هذا الرجل الطمأنينة والرضا، وفي

منزلها ليس هناك ما يرضي أبداً. . . لذا، حتى وهي تفتح فمها لتقول له إنها ستذهب. . قالت: «شكراً لك».

وأخذت تخلع معطفها.

أنذرها الجانب المتحفّظ فيها إلى أنها أخطأت التصرف. . أدركت هذا حين عاد الرجل الطويل، الصارم الذقن، الأشقر الشعر، بعدما وضع معطفها بعيداً في غرفة الجلوس. كانت لا تزال تشعر بالدفء، لكن هذا لا يدهشها، فما زالت ترتدي بنطلوناً صوفياً وقميصاً وكنزة فوقه.

سألت خائفة من أن تكون قد استغلت ضيافته:

ـ وأنت. . . ألن تأكل؟ أنا آسفة. . لا بد أن لديك موعداً للعشاء هذا المساء. وتنتظر مني أن أرحل.

كافحت لتنهض عن الأريكة المريحة. . تابعت: «أنا. . .».

لكنها انهارت وقد أصيبت بنوبة سعال جديدة.

صاح بلهفة: «هاك! هل رأيت؟».

وتقدم إليها يديرها حتى جلست وظهرها يستند إلى ذراع الأريكة. . وقال:

ـ استرخي فقط واتركي لي أمر تحديد موعد رحيلك. . . لا تقلقي. . . أستطيع أن أقول لك متى يجب أن ترحلي!

عرفت أنه قادر على هذا فعلاً. وعرفت كذلك، أنه لو دعت الحاجة، يستطيع أن يكون قاسياً كذلك.

بدأت تسعل من جديد، فخرج ليعود بكأس من الماء، فأخذت جرعة منه. ثم وبعد توقف التهيج للحظة، قرّب منها طاولة صغيرة، ووضع الكأس بما تبقى فيه من ماء عليها. ثم جلس في الكرسي الوثير أمامها.

ـ سأخبرك ليطمئن بالك أنه ليس لدي خطط لهذا المساء أكثر من

تناول الطعام الذي أعدّته السيدة أندرهيل وتركته لي في المايكروويف، ومن إتمام بعض الأعمال في مكتبتي.

تمتمت بيڤن: «أوه».

ولأنها كانت تشعر بتحسّن. . ابتسمت.

لم تفترض ولو للحظة أن لابتسامتها شأناً حين فاجأها بقوله:

ـ إذا أحسنت التصرف. . قد أفكر في مشاركتك طعامي.

كانت تشعر بالتعب، ومع ذلك كان الضحك يرن في داخلها.

سمعت نفسها ترد: «لكنني لا أعرف اسمك بعد!».

قال على الفور: «جيرڤيه ديڤيلبرن».

وطرحت عيناه السؤال عينه وهو يميل رأسه قليلاً إلى الجانب: «بيڤن بيمبرتون».

ـ تشرفت بمعرفتك بيڤن بيمبرتون!

كانت ضيفة لديه منذ أكثر من ساعة! وتملكتها نوبة ضحك. . . هل هو، أم شيء فيه، يجعلها تضحك؟ أم أن الأمر أكثر بساطة من ذلك؟ فبعد إحباط دام طويلاً، لا يستطيع الإنسان البقاء محبطاً وقتاً أطول؟

قال بعد لحظة: «ربما عادت وجنتاك لتتلونان قليلاً لكنك ما زلت واهنة ضعيفة. . . لماذا لا تضعين قدميك على الأريكة؟».

بدت لها الفكرة رائعة، لكنها ردت باحتشام: «لا زلت أنتعل حذائي».

سأل: «هل أنت مهذبة هكذا دائماً؟».

وترك مقعده متقدماً نحوها.

ردت: «أنا لا أتغير من لحظة لأخرى!».

ذهلت حين رفع قدميها ونزع لها حذاءها، ثم رأت عينيها تتأملان الجوارب الرجالية في قدميها؟ فسارعت تشرح سبب وجود الجوارب الرمادية السميكة:

ـ إنها لأبي. أعني الجوارب. فكرت أنني سأكون أفضل حالاً لو ارتديت ما يشعرني بالدفء اليوم.

ـ وهل تعيشين مع والدك؟

وعاد إلى مقعده، وعلى وجهه تعبير جاد. أدركت بيڤن أن سؤاله كان بسبب ملاحظته السابقة عن عدم وجود من يعتني بها. . مع ذلك بدا من الطبيعي أن يعيش والدها معها، وإلا فكيف وصلت إلى جواربه؟

كانت تعابير وجهها جادة كذلك وهي تقول بهدوء:

ـ مات والدي منذ ثلاثة أسابيع.

ـ أنا آسف.

وأحست بيڤن بالدفء، لأن لهجته لم تكن متعاطفة فقط بل تعبّر عن أنه يعرف معنى أن يفقد المرء فرداً من أفراد الأسرة.

قال: «كنت متعلقة به».

ـ أنت تفهمني. . فهل فقدت شخصاً مؤخراً؟

ـ مات جدي منذ ستة أشهر.

وعرفت بيڤن فوراً أنه وجده كانا مقربين جداً، لذلك لا يريد التحدث عن الأمر.

فجأة أحست أنها لا تريد أن تحرك مشاعره فغيّرت الموضوع لتقول له، وكأن قوله عن تعلقها بأبيها كان مجرد سؤال:

ـ كان والدي، قاسياً، بعض الأحيان، إلا أنني كنت أحبه.

ـ وأنت تشتاقين إليه.

هزت رأسها، فتابع جيرڤيه:

ـ أو لا تعيشين مع أمك؟

ـ ماتت وأنا في الحادية عشرة.

ـ تعيشين بمفردك إذن؟

كانت لهجته لطيفة، فيها شيء من الشفقة على وحدتها. . سرعان ما

أحست بشيء من الذنب. . إذ لا يحق لها بشيء من عطفه. . . لكنه يسأل لذا لا بدّ من أن تجيبه وتقول له ما لا يمكن أن تكشفه للآخرين، وخاصة لغريب.

ردت: «لا. . لكنني. . .».

ونظرت إليه فرأت أنه ينتظر. . ابتلعت ريقها بألم، وعرفت أن كل ما تحتاج إليه هو تورّم اللوزتين ليزداد الطين بلة. نظرت بعيداً لتقول:

ـ ظننت أنني سأعيش بمفردي. في الواقع، هذا ما حصل طوال أسبوع كامل بعد وفاة أبي. . لكن. .

صمتت لتسعل، وخشيت أن تصاب بنوبة سعال طويلة. لكن هذا لم يحدث، وأكملت:

ـ تزوج أبي مرة أخرى حين كنت في الرابعة عشرة.

سأل مضيفها اللطيف: «ومنذ متى كان هذا؟».

ـ منذ ثماني سنوات. . لكن هذا الزواج لم ينجح. وبعد سنة، هجرته زوجته الجديدة. . أيرين.

ـ وهل عادت إلى المنزل ثانية؟

هزت رأسها. . فأضاف يسأل:

ـ التقيت بها، أم رأيتها في الجنازة ربما، وطلبت منها العودة؟

ـ لا. . ! لم تحضر جنازة أبي! وأنا لم أرها منذ سنوات. . ثم جاءت إلى المنزل بعد الجنازة بيوم واحد لتقول إن حساب والدي المصرفي مجمد، وإنها تريد نفقتها.

ـ وتوقعت منك أنت أن تعطيها النفقة؟

ـ لست واثقة. لم نصل إلى بحث هذا، لأنها سألت فجأة عن وصية أبي.

لم يكن لدى بيڤن فكرة لماذا تخبره بهذه الأشياء كلها. . وصمتت فجأة. . لكن، حين نظرت إلى جيرڤيه ديڤلرز رأت أن تعبير وجهه أصبح

متصلباً حتى كادت تسأله ماذا جرى له. وقبل أن تسأل عرف كل ما مر بذهنها وعاد تعبير وجهه أكثر دفئاً وهو يقول:

- دعيني أحزر. أرادت أن تعرف ماذا ترك لها والدك.

ردت بصوت أجش: «أجل».

ثم اكتشفت أن جيرڤيه أساء فهم الموقف.

- فقلت لها إنَّه ترك لها المنزل.. وفي اليوم التالي انتقلت إليه.

- أنت محق في مسألة انتقالها في اليوم التالي، لكن أبي ترك لي المنزل وكل شيء، دون شروط.

- وأنت دعوت زوجة أبيك للسكن معك؟

- لم تكن مضطرة لانتظار دعوة.. فقد أخذت نسخة من الوصية إلى محاميها واكتشفت أن صيغتها غير قانونية.. وأكد محاميّ هذا حين قرأها.. وبهذا تمكنت من الاحتفاظ بكل شيء لها!

- يا إلهي! ألم يسجل والدك الوصية قانونياً؟

سعلت بيڤن، وأحست بالبؤس.. لكن كان عليها أن تعترف.

- لقد كان والدي في بعض الأوقات كريماً جداً.. إلا أنه في بعض الأمور... كان يقتصد كثيراً أيضاً...

قال قبل أن تكمل كلامها: «إلى درجة أن أفقدك اقتصاده إرثك».

لم يعجب بيڤن أن تسمع شخصاً آخر لم يعرف والدها ولم يحبه يتكلم عن «اقتصاده» وكأنه نقيصة.. وهذا ما دعاها إلى التفكير في شيء آخر تقوله..

- هل أنت محام؟

هز رأسه نفياً.. وكأنه أحس بما تفكر أو تشعر به، تركها تغيّر الموضوع ورد:

- لست محامياً، ولا طبيباً. أنا أعمل لشركة ديڤلرز، مجموعة المشاريع الهندسية.

- أوه.. لقد سمعت بها!

حاولت أن تفكر بما سمعته عن المجموعة.

- ألم يكسبوا مناقصة كبرى على مشروع خارج البلاد؟

- كنا محظوظين.. لكن مستوى عملنا جيد!

ابتسمت بيڤن لتواضعه الزائف. ثم قالت بحيوية أكبر: «لكن اسمك ديڤلرز!».

- هذا صحيح.

فغرت فاها، وهي تفكر بحجم المؤسسة، وشهقت:

- وهل أنت مديرها؟

- يساعدني فريق عمل...

سحبت نفساً عميقاً، سبّب لها للأسف نوبة سعال لم تستطع السيطرة عليها.. فهبّ جيرڤيه عن مقعده، وتقدم إلى الأريكة يحاول مساعدتها... وتمتم حين هدأ السعال:

- لقد أرهقتك بأسئلتي.

ثم أعطاها كأس الماء عن الطاولة الصغيرة، قائلاً:

- استريحي الآن.. وسأذهب لأعدّ أشياء رائعة «بالمايكروويف».

ومالت بيڤن إلى الخلف، وهي تشعر بالتعب، ونظرت إلى رجل الأعمال الثري الذي تولى أمرها حين انهارت في الشارع.. ولم يتركها لحظة مع أن لا شيء يلزمه بأن يفعل ما فعله.

قالت بصوت أجشّ: «أنت بغاية اللطف».

وأحست بالدفء أكثر وأكثر وهو يمنحها ابتسامة اختلطت بتكشيرة مازحة. وقال معلقاً:

- أعرف هذا.. ولا أفهم السبب! أفترض أن ليس لديك القوة للجلوس إلى طاولة العشاء... لذا سأحضر لك صينية.

وقبل أن تقول له بأنها لا تريد إزعاجه، كان يرشدها إلى الحمام

www.elromancia.com

لتغسل يديها قبل الطعام.

كان إحساسها بعرفان الجميل يكاد يملأ قلبها... سارت إلى الحمام بقدمين ملفوفتين بجراب صوفي، وعادت إلى الأريكة.. إنه فعلاً رجل رائع.. أغمضت عينيها.

أحست بتعب فظيع، مع ذلك، وبسبب العذاب النفسي الذي مرت به مؤخراً، أحست براحة في داخلها لم تشعر بها منذ وفاة أبيها.. عدلت جلستها على الأريكة، فآلمها جسمها.

فجأة، بدأت حرارتها ترتفع، وبدأت تشعر أنها محمومة.. وضعيتها على الأريكة مريحة.. لكن الكنزة الصوفية بدأت تشعرها بالحر.. فخلعتها وجسمها المتألم يحتج على هذا الجهد الإضافي. لكنها أحست أنها أفضل حالاً ما إن رمتها على الأرض، وتحسنت أكثر حين خلعت الجوارب من قدميها الملتهبتين.

في الواقع، شعرت فجأة أنها أثقل حالاً من كل ناحية، بهذا فكرت وهي تعود إلى وضعها المريح مجدداً. حتى كادت تنسى أن أيرين سلبتها منزلها... ربما من المفيد للإنسان أن يتحدث في هكذا أمور. ولأنها متعبة، منهكة.. غطت في نوم عميق بسرعة.

أيقظتها نوبة سعال في وقت ما حوالى الثانية صباحاً.. ولسبب ما، لم تشعر بالذعر لأنها كانت تنام على أريكة في منزل شخص غريب، وبالبنطلون والقميص.. ربما كان الضوء الخفيف الذي ينير بلطف جزءاً من الغرفة، والبطانية العاجية اللون الناعمة هما ما دفعاها للإطمئنان... لكن سعالها المتواصل كان قد سلبها معظم قواها. ولم تشعر بأي خوف حين ظهر الرجل مرتدياً الروب ليقول:

ـ اشربي هذا.

تمتمت بصوت متحشرج: «شكراً لك».

ولأنها تشعر بالألم في كل جسمها، عادت إلى الأريكة المريحة،

وغطت في النوم مجدداً.

كان الفجر قد بدأ ينبلج حين استقامت.. وكان الرجل الطويل موجوداً هناك مرة أخرى. لكنه في هذه المرة كان حليقاً ومرتدياً ملابسه.. سأل: «كيف تشعرين الآن؟».

ترددت بيڤن بين التهذيب والحقيقة. وربح التهذيب.. فأجابت: «بخير».

وقاومت لتجلس.

الواضح أنه لم يصدقها، لكنها كانت مسرورة لكذبها، حين قال الرجل بمرح:

ـ أتعرفين، قد أصل إلى حد الإعجاب بك بيڤن بيمبرتون. إجلسي مستقيمة، سأحضر لك فنجان شاي.

جلست بيڤن، لكن حتى عاد، كانت تتذكر، وتشعر بعذاب بسبب كل شيء. كل الأشياء التي أسرّتها له ليلة أمس.. صحيح أنه طرح أسئلة لها صلة مباشرة بالموضوع.. إلا أن رجلاً في مثل مركزه، رجلاً يدير شركة كبيرة مثل «ديڤلرز» من الطبيعي أن يطرح أسئلة كهذه... فكرت فجأة.. يا إلهي! وما أدراه؟ قد تكون نوعاً من النساء اللواتي يحببن استغلال لطفه، وكرمه ويخرجن معه للظهور في دائرة الضوء!

دفعت بيڤن البطانية عنها بلهفة، ثم أدركت أن جيرڤيه ديڤلرز، من دون شك، حكم كفء على الشخصيات. فهو لن يُدخل امرأة مرتزقة إلى شقته.. وعادت تلفّ نفسها بالبطانية.

شعرت بالتوهج لحكم جيرڤيه وهو الذي سألها أن تثق به، وأنه بدوره يمكن أن يثق بها. وتساءلت: هل أخبرته كل شيء فعلاً؟ هل كانت امرأة تافهة تهذي كيفما كان أم لعلها في الواقع حلمت بكل هذا؟

بعد لحظة، أخذت تنظر إلى البطانية العاجية الناعمة، وكأنها تراها لأول مرة.. هل غطّاها جيرڤيه فعلاً، لئلا تبرد خلال الليل؟ ويا الله..

هل أمضت الليل فعلاً على أريكته؟

قالت له بلهفة لحظة ظهوره مع فنجان الشاي:

ـ كان يجب أن أذهب إلى منزلي!

وضع الشاي دون استعجال على الطاولة الصغيرة قربها، ثم جلس على حافة الأريكة وعيناه الثاقبتان تتفحصان شعرها الأحمر الأشقر المشعث وخديها المتوردين. كانت عيناها البنيّتان تكشفان أنها لا تزل متوعكة جداً.

سأل: «وما سبب هذا الكلام؟».

ـ كان يجب أن أفعل.. هذا إجحاف بحقك.

ـ انسي هذه اللحظة.. وقولي لي صادقة، هل أنت نادمة على البقاء هنا ليلة أمس؟

لم يتطلب الرد تفكيراً.. خاصة حين تذكرت كم شعرت بتحسّن شامل منذ دخولها منزله. وكم شعرت بالأمان والراحة النفسية... وفكرت بمنزلها، المنزل الذي أصبح منذ انتقال أيرين إليه مساحة لا مكان للبهجة فيها..

أجابت: «لا.. أنا لست نادمة».

صمت جيرڤيه ديڤلرز لحظات طويلة وتابع النظر إليها مفكراً، وكأنه يجيل النظر ببعض الأمور في العمق.. لكن بعدما بدا أنه توصل إلى قرار، قال وهو يقف:

ـ اشربي الشاي بيقن.

وسار ليخرج من الغرفة، وعيناها تلحقان به.

هل كان هذا قراره؟ أن تشرب الشاي؟! كانت تفكر ورأسها فارغ من كل الأفكار.. بدت حنجرتها جافة، بحيث شربت السائل الساخن، وهي تحاول أن تتظاهر بأنها أفضل حالاً... تمنّت لو تشعر بالتحسن فعلاً. لكن من أين ستجد القوة لتسير على طول ممر حديقة منزلها بعدما

يقلّها التاكسي إلى هناك... بما أن جيرڤيه قام بأكثر من اللازم من أجلها فستصر على أن تستقلّ سيارة أجرة.

ستنزل عن الأريكة، وتخرج بعد دقيقة.. لكنها بدأت تشعر بتشوش أفكارها مرة أخرى.. فأغمضت عينيها لفترة قصيرة.. لكنها استيقظت لتجد جيرڤيه واقفاً هناك يتطلع إليها.

ظنّت أنه يبدو موافقاً، لكنه قال بصراحة:

ـ لا يمكنك البقاء هنا هكذا!

وتصاعد المزيد من اللون الأحمر إلى وجهها، وأحست بإحراج لم تشعر به في حياتها.

ردت بسرعة: «سأرتدي كنزتي و...».

وتحركت بسرعة، وبكبرياء، لتقف.. ولم تكد تقف على قدميها، حتى اضطرت أن تتمسك به لتدعم نفسها. لكنها دفعت نفسها عنه بكبرياء، وبدأت تقول: «كنت على وشك المغادرة...».

لكنه قاطعها: «لا تكوني حمقاء. أنت لا تستطيعين الذهاب إلى أي مكان!».

أدركت أنها أساءت فهمه، فوقفت مرتجفة تحاول أن تفهم ماذا يعني، فأسرع يمسك بكتفيها، وحركها لتعود للجلوس على الأريكة، وأكمل:

ـ لم تتوقفي عن السعال طوال الليل وحرارتك مرتفعة جداً.

قالت بإصرار: «سأكون على ما يرام حين أصل المنزل وأدخل الفراش».

ـ أنت على حق في مسألة الفراش. لكنني لا أرى كيف يمكن أن أسمح لك بالذهاب إلى منزلك؟

كان رأسها يضج ألماً. مرة أخرى حاولت جاهدة أن تفهم، وعندما لم تفهم، اضطرت أن تعترف:

www.elromancia.com

ـ أنا لا أفهمك.

ـ هل من المحتمل أن تحمل إليك زوجة أبيك شراباً ساخناً ما إن تعودي إلى هناك؟

بعد تجربتها المرة .. أحست بيڤن أن من المحتمل أكثر أن تغضب أيرين لأنها لم تحضر لها العشاء.. وهزت رأسها بتعاسة تنفي.

فتمتم جيرڤيه: «هذا ما ظننته.. ولهذا السبب جهزت لك السرير في غرفة الضيوف».

تبددت نظرة الهزيمة عن أساريرها لتنظر إليه بعدم تصديق.. وسألت: «تريد مني أن أبقى هنا؟».

لكنها أدركت على الفور أنه لا يريد هذا فأعادت صياغة السؤال:

ـ أتعني أنني أستطيع البقاء هنا؟

وافترضت أن شيئاً في مظهرها فضح أن فكرة الراحة في الفراش مستحبة جداً بالنسبة لها.. ولم تدرِ إلا وجيرڤيه ديڤلرز يساعدها على الوقوف.

كان يأمرها، ممازحاً: «تعالي.. كنت أعرف أن البيجاما التي أهدتني إياها أختي في عيد الميلاد ستنفع يوماً».

وبينما كانت بيڤن تستوعب أنه يفضل النوم دون بيجاما، وأن له شقيقة، أخذ يخرجها من غرفة الجلوس، إلى غرفة نوم كاملة لها حمام خاص. هناك أجلسها على السرير وأشار إلى البيجاما الجديدة، والروب المغسول والمكوي إلى جانبها، وقال يعطيها أوامره بلطف وكأنها في العاشرة من عمرها.

ـ ادخلي الفراش عزيزتي، ريثما أذهب لأحضر لك ما تأكلينه.

قالت له بتشنج: «لا أريد أن أكون مصدر إزعاج لك».

رد بلطف: «هذا إحساس نبيل!».

وتركها.

لم تعِ بيڤن كيف مضى معظم ذلك اليوم، فقد أكلت ونامت بسرعة. ثم أيقظتها نوبة سعال بعد حوالي الساعتين.

كانت تجلس في الفراش مستوية، تحاول الراحة من السعال، حين دخل جيرڤيه الغرفة يحمل ملعقة وزجاجة دواء مضاد للسعال.

قالت بلهفة: «أوه.. أرجو ألا تصيبك العدوى!».

قال بلطف: «سأقيم عليك دعوى لو حصل هذا!».

وفتحت فمها لتردّ فاستغلّ ذلك ودس ملعقة الدواء، وهو يسأل:

ـ أتحتاجين إلى شيء حلو؟

ومع أنها كانت تشعر بالإرهاق، أحست أنها ستضحك. فقال معلقاً: «ستكونين بخير!».

وانتظر قليلاً ليرى ما إذا كانت ستبدأ السعال مجدداً. ثم قال:

ـ ستكونين أفضل حالاً لو استلقيت مجدداً.

حين أطاعته أحكم الأغطية حولها، ثم تركها للنوم الشافي.

في المرة التالية استيقظت على سماع باب الشقة الخارجي يغلق مع دخول شخص ما، وقتها خطر ببالها أن جيرڤيه قد خرج باكراً ليشتري لها دواءً للسعال.. فهل خرج مرة أخرى؟

أدركت أنه خرج مجدداً حين دخل يحمل صينية سمك وبطاطا مقلية.. فتأوهت:

ـ أوه.. جيرڤيه.. أنا أسبب لك متاعب فظيعة.

رد بصوت جاف: «كلام سخيف! فعليّ أن آكل كذلك.. ولا يتعبني أن أطلب وجبتين».

ـ وهل تتناول في العادة السمك والبطاطا أيام السبت؟

ـ هذا أمر معروف.. لكني أتصرف حسب مبدأ: «أطعم المزكوم، وأحرم المحموم» وقد بدا لي أن شحنة من البروتينات المفيدة لن تذهب سدى... أتظنين أنك قادرة على تناول شيء من الطعام؟

ابتسمت: «يبدو لي لذيذاً».

نامت كثيراً بعد ظهر ذلك اليوم، لكنها استيقظت وهي تشعر باضطراب غريب. جلست في الفراش، وهي تنظر حولها إلى الأثاث الفخم، الصلب المظهر.. بدا لها كل شيء غير حقيقي.. كانت تعي أنها مصابة بدوار.. لكنها بلا شك لا تهذي.. وبدا أن ما يجعلها تضطرب أنها لم تعلم أيرين بمكان وجودها.

أبعدت عنها الفكرة.. وكأن أيرين ستهتم بمكان وجودها، بحق الله! أغمضت عينيها، لكنها نامت بما فيه الكفاية... بعد دقيقة قررت بيڤن أنها أفضل بكثير.. وتأكدت من ذلك حين لم ترتجف ساقاها، وهي تغادر السرير.

رأت الروب المنشفة في أسفل السرير، فارتدته. كان كبيراً، والبيجاما كذلك. صحيح أنها كانت طويلة القامة، لكن أطراف البيجاما كانت تلتف حول قدميها. جلست لتطويها قليلاً، وفكرها مشغول بأيرين.

سمع جيرڤيه تحركها، فدخل إلى غرفة الجلوس من باب آخر وهي تدخل إليها. رأى بنظرته الثاقبة، أنها لا تزال محمومة قليلاً، إلا أنه لم يعلّق.. بل سأل بلطف:

ـ أتقومين بتمرين ساقيك؟

ـ هل تعتقد أن علي الاتصال بزوجة أبي؟

رد، وعيناه ثابتتان عليها:

ـ لا.. لا أعتقد هذا. لكن، إذا كان الأمر يكدرك يمكنك أن تدخلي مكتبتي وتتصلي بها.

اقتادها عبر الباب الذي خرج منه، وقالت بلهفة: «هل كنت تعمل؟».

ـ كنت أنهي بعض الأشياء.. لا شيء مهم.

أحست بيڤن أنه قال هذا لئلا تشعر أنها قاطعت عمله.. وتابع يسأل: «ما هو الرقم؟».

أعطته رقم هاتف منزلها، وكبس على الأرقام، ثم أعطاها السماعة، ولم تمانع أبداً في بقائه إلى جانبها.. كانت قد نسيت أي صوت مزعج لزوجة أبيها.. وأبعدت السماعة آلياً عن أذنها حين سمعت أيرين تتحدث:

ـ آلو!

قالت بعدما استعادت وعيها:

ـ آلو.. أيرين.. هذه بيڤن. أتصل بك لأعلمك أنني سأعود قريباً. لكن هذا...

صاحت أيرين بصوت شرير:

ـ هاه! ظننتك فهمت الرسالة، وانتقلت من المنزل دون رجعة!

وأقفلت سماعة الهاتف.. وبقيت بيڤن واقفة هناك، تشعر بالخجل والألم والبؤس، تعي أن جيرڤيه سمع كل كلمة.

نظرت إليه وهو يمد يده ليأخذ السماعة منها.. لكن عندما تلاقت عيونهما، عضت شفتها، محرجة.. وأبعدت نظرها بسرعة.

كأنما أحس بألمها، إذ مد يده إليها وأمسك بها، ثم ضمها بحنان إليه، ووضع رأسها على صدره.. ربما كانت تهذي، أو تحلم، ولكنها لا تريد أبداً أن تستيقظ من حلمها هذا.. فمن الإحساس بالضياع، والبؤس، والتعاسة إلى الإحساس بكل هذا الأمان.

مع ذلك، حين استرخت عليه متهاوية، قال لها بهدوء:

ـ تعالي.. عودي إلى الفراش.

وحينما رأى أنها لا تشعر برغبة في الحراك، حملها بين ذراعيه، وكأنها لا تزن شيئاً أبداً، وعاد بها إلى غرفتها.

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ امرأة بلا أمس

لم تنم بيڤن تلك الليلة كثيراً، ولا نام مضيفها، فقد بقيت مستيقظة معظم الليل، وهي تسعل. قالت معتذرة مرة أخرى حين ترك جيرڤيه فراشه حوالى الساعة الثالثة صباح يوم الأحد، ليعطيها ملعقة أخرى من الدواء:

ـ كان يمكن أن أفعل هذا بنفسي.

سألها متصنّعاً الاستياء: «هل تحاولين القول أن لا حاجة لي؟».

أحست بيڤن أنها معجبة به حقاً.. فرغم إزعاجها له وإخراجه من سريره بسبب سعالها لا يزال رضي الخلق، حسن الطباع.

هدأها الدواء لفترة، ثم استيقظت مجدداً في الفجر تحاول جهدها أن تخنق صوت سعالها الحاد الأجش.. لكن جيرڤيه سمعها.. في هذه المرة حين دخل عليها، بدا وكأنه فقد الأمل بالراحة مجدداً، لأنه دخل حليق الذقن مرتدياً لملابسه.

قالت مصممة: «سأعود إلى منزلي».

واعتقدت أنه سيرحّب بهذا الخبر. لكنه لم يبدُ مسروراً كما تصورت، بل بدا منزعجاً كثيراً، الأمر الذي أثار استغرابها... وسألها بحدة:

ـ أتظنين أنك منصفة بحقي؟

ردت بصوت أجش، بدأت تعتاد عليه: «أنا.. لا أفهم».

ـ بعد ليلتين من الرعاية الطبية الممتازة، تعرّضين نفسك لخطر الانتكاس، بالعودة إلى مكان لست على الرحب فيه، وكلانا يعرف مقدماً أنك لن تحصلي فيه على أية رعاية أبداً!

فجأة، وأمام طيبته، وحقيقة ما قاله، أحست بالضعف والرغبة في البكاء.

قالت بصوت باكٍ: «أوه.. جيرڤيه!».

قال يحاول أن يهدئها: «اسكتي الآن!».

وأسندها إلى وسادتها.

منذ تلك اللحظة، وفي الساعات التالية، كان يدخل غرفتها ليأتيها بشيء تأكله أو شيء تشربه، أو ليتفقدها فحسب.

في العاشرة والنصف من صباح ذلك اليوم، بدأت حرارتها ترتفع مجدداً.. ما إن دخل جيرڤيه إلى الغرفة حتى عرفت بيڤن أن توعّكها واضح جداً، إذ أسرع إليها ووضع يداً باردة على جبهتها الملتهبة.

سأل بلهجة جادة حذرتها أنه لا يريد سماع رد كاذب:

ـ بصراحة.. كيف تشعرين؟

ردت ساخرة: «مرت بي أيام أحسست فيها أنني أرغب في مباراة «تنس»».

حين أبعد يده الباردة عن جبينها شعرت برغبة في أن يعيدها.

انحرفت بعد خروجه إلى نوم متقطع، حلمت خلاله أحلاماً مزعجة، لم تصح منها إلا وضميرها يحثها على الرحيل من هنا...

فتحت عينيها حين سمعت الباب يفتح ويدخل منه جيرڤيه.. لكنه لم يدخل وحده، لأن برفقته امرأة جذابة في حوالى الثلاثين من عمرها.. شعرت بيڤن ويا للغرابة بالكآبة! فربما كانت هذه المرأة الصديقة التي تزوره دائماً أيام الآحاد.

بدأت تشعر بذنب فظيع لأنها أخذت غرفة نوم ضيفة.. كانت السيدة التي ترافقه تبتسم لها بلطف، فلم تستطع بيڤن أن تتكهن بحقيقة رأيها بما تراه. لكنها حدثت نفسها بأن ما من داع للارتباك.

قال جيرڤيه لصديقته: «هذه بيڤن بيمبرتون».

وصرف اهتمامه إلى الشقراء المتوردة الخدين النائمة في السرير:

ـ بيڤن.. هذه تشيريل تود.. الدكتورة تشيريل تود.

فغرت بيڤن فاها بذهول، عندها فقط لاحظت أن حقيبة المرأة الكبيرة لم تكن حقيبة يد، بل حقيبة طبيب.

بدأت تحتج: «هل فعلت...».

ـ بلى.. فعلت.. أتريدين أن أبقى بينما تفحصك الدكتورة تود؟

ردت بيڤن بسرعة، وبشكل غريزي: «لا!».

وضحك.. ثم اختفى.. أما تشيريل تود فتقدمت إلى السرير لتضع حقيبتها.. قالت مبتسمة:

ـ لم يخبرني السيد ديڤلرز الكثير عنك... هل تمانعين إن طرحت بعض الأسئلة؟

بعد عشر دقائق من هذا، كانت بيڤن قد أجابت على عدة أسئلة طرحتها الطبيبة بطريقة لطيفة.. وصفت لها شيريل تود حقنة وقالت لها إن ما تحتاجه فعلاً هو الراحة التامة.. أحست بيڤن بتشوش في رأسها منعها من أن تسأل ما فائدة تلك الحقنة.. ولم تتأخر الطبيبة، فبينما كانت بيڤن تشكرها، بدأت تلملم حقيبتها، وما هي إلا دقيقة، حتى تركت الغرفة.

أدركت بيڤن أن جيرڤيه يتحدث إلى الطبيبة، لأنها سمعتهما، لكنها لم تسمع ما يقولانه. وأدركت أنهما يتحدثان بصوت منخفض.. فجأة استطاعت سماع ما يقولان، وسمعت جيرڤيه يقول بعد أن فتح الباب الخارجي:

ـ سأتصل بك مجدداً إذا احتاج الأمر.

ـ طبعاً.. لكن لا أعتقد أنه سيحصل شيء.

فكرت بيڤن أن استدعاء الطبيبة أمر لم يكن ضرورياً.. وأحست بالذنب مجدداً للمتاعب التي تسببت بها.. ثم سمعت صوت جيرڤيه وهو يعود ليراها. فقاومت إحساساً عاماً بالتعب لتطبع ما يشبه الابتسامة على شفتيها، ولتسأله وهو يدخل الغرفة بطوله الفارع وشعره الأشقر:

ـ هل سأعيش؟

ـ إذا سمعت الكلام!

وبدأت تشعر مجدداً باضطراب ضميرها..

قالت بصوت متقطع: «أرجو ألا تكون الدكتورة قد انزعجت لاستدعائها يوم الأحد.. لا بد أنها مشغولة جداً فالإصابة بالانفلونزا أمر منتشر كثيراً هذه الأيام..».

قاطعها جيرڤيه: «شيريل تود لا تمارس الطب العام. بل هي طبيبة متخصصة تسكن قريباً من هنا».

وبينما كانت بيڤن تفكر بالطبيبة المسكينة التي قطعت إجازة يوم الأحد، تابع يقول:

ـ كنت قد بدأت أشك أنك مصابة بشيء غير الانفلونزا...

قالت بعجب: «حقاً؟.. وما هو...؟».

ـ أنت، يا بيڤن الصغيرة، تعانين من انفلونزا نوعية سببها صدمة متأخرة.. الصدمة والانفلونزا معاً جعلتاك طريحة الفراش!

نظرت إليه بذهول:

ـ هل أنا مصابة بصدمة متأخرة.. من وفاة أبي وما تلاه من أحداث؟

ـ هذا ما يبدو.. لكن الخبر الجيد أنك ستتحسنين مع حلول الغد، شرط أن تستريحي ولا تقلقي، وتبدئي بتناول الدواء الذي وصفته لك شيريل.

ـ حمداً لله على هذا!

وجاء قولها نابعاً من القلب.

ـ أخبرتني شيريل، أنها أعطتك شيئاً سيجعلك تغيبين عن الوعي لفترة. فهل ستكونين عاقلة بينما أذهب لأحضر لك الدواء؟

أحبت مزاحه معها، لأنه يُشعرها بالتحسن.

وقالت بخضوع: «أجل».

ثم ابتسمت وأغمضت عينيها.

سمعته يخرج، ثم سمعته يعود فوراً.. ولكن جرس الباب رن فظنت أنه نسي شيئاً.. لا بد أنها المفاتيح. ولا بد أنه عاد فوراً لأخذها بدلاً من أن يترك الأمر إلى ما بعد إحضار الدواء.. لكن مفعول الحقنة كان قد بدأ يسري وقد لا تتمكن من فتح الباب.

عاد الجرس يرنّ بإصرار. وجرت بيڤن نفسها إلى خارج الفراش، مدركة أنه يحاول إيقاظها.. راحت ساقاها ترتجفانَ لكنها تمكنت في النهاية من الوصول إلى الباب.. وتصارعت مع المقبض لتحاول فتحه ثم جذبت الباب إلى الوراء.. لكن الطارق لم يكن جيرڤيه!

كانت امرأة طويلة شقراء الشعر تقف بالباب بجفله مثل بيڤن! إنها بسن الطبيبة شيريل تود... إنما على هذه المرأة مظاهر الكبرياء وعدم الود.

وسألت: «حسن جداً.. حسن جداً.. من أنت؟».

ـ بيڤن بيمبرتون.

وأحست بدوار شديد عجزت معه عن متابعة الحديث.

ثم تنبّهت... لا داعي لأن تقول الكثير. فالبيجاما التي ترتديها ووجهها الأحمر يعطيان فكرة واضحة.

وقالت المرأة الشقراء: «يبدو أن زيارتي جاءت على يبدو في وقت غير ملائم».

قاومت بيڤن موجات النعاس، وحاولت التماسك.. ثم سألت بصوت أجش: «من أنت؟».

ينبغي أن تعرف من هي قبل أن تدعوها للدخول.

ردت المرأة: «أنا شقيقة جيرڤيه.. لكنني لن أبقى».

وارتدت مبتعدة، لكن بيڤن استجمعت قواها أكثر.

ـ جيرڤيه لن...

لكنها كانت تخاطب نفسها...

أغلقت الباب وعادت إلى السرير تتساءل عما كانت ستقوله.. لكنها لم تستطع أن تتذكر.

لم تسمع جيرڤيه وهو يعود.. كان يوقظها بين حين وآخر ليعطيها الدواء، لكن بدا لها أنها نامت معظم اليوم. وأدهشها أن تنام طوال ليلة الأحد أيضاً.

استيقظت باكراً صباح الإثنين على صوت المطر يضرب زجاج النافذة، ثم وجدت جيرڤيه يقف فوقها حاملاً المزيد من الدواء، وهو يرتدي بذلة العمل.

حيته: «صباح الخير».

وأحست بالسرور لأن حلقها لم يعد يؤلمها.

سأل: «كيف حال رأسك؟».

قالت: «بخير».

وأخذ يعطيها التعليمات عن مواعيد الدواء. وأكمل آمراً:

ـ إبقي في السرير.. و..

قاطعته تسأل بقلق:

ـ ألا تظن أنه يجب أن أرحل اليوم؟

وقرأت على وجهه إمارات الغضب، وصاح قائلاً:

ـ هل تتعمدين إزعاجي؟

ولم يعجب بيڤن الأرستقراطي العنيد الذي رآته فجاة امامها.

ردت محاولة أن تبدو مرحة:

ـ لا أعتقد أن لدي الطاقة الكافية لإزعاجك.

وأحست بسعادة سخيفة حين تخلّى عن نظرته القاسية، وتقدم ليجلس على حافة السرير.

ـ سوف تسامحينني لأنني أخشى أن تصابي بالتهاب رئوي لو خرجت.

واقشعرت بشرتها حين رفع يدها الشاحبة عن الغطاء.

ردت بوقار: «سأحاول».

ورأت الضحكة تتراقص في عينيه الزرقاوين الرماديتين.. وسأل:

ـ لكنك ستعدينني أن تبقي حيث أنت؟

في تلك اللحظة أشعرها سحره بالضعف والخضوع لكل ما يطلبه.

ـ أجل.

تمنت لو أنها تماسكت قليلاً... لأنه حين أراح يدها على الغطاء، ثم وقف ليخرج إلى مكتبه. شعرت بضرورة أن تقول له شيئاً ما، لكنها لم تتذكر ما هو.

أمضت فترة الصباح نائمة.. واستيقظت لتأخذ جرعة الدواء.. حوالى الساعة الثانية من بعد الظهر، أحست فجأة أنها بدأت تشعر بتحسن كبير. صداعها زال، ولم تعد تسعل كثيراً... وكانت متأكدة أن حرارتها انخفضت.. ونظرت إلى الحمام.. وبدأت تتشوق لحمام ساخن.

بعد نصف ساعة زادت رغبتها بالاستحمام ولم تعد تستطيع منع نفسها. فخرجت من السرير... سرّها أن تجد أنها أكثر ثباتاً على قدميها مما كانت في اليومين السابقين، ودخلت الحمام.

بينما كان المغطس يمتلىء، غسلت ثيابها الداخلية ولفتها في منشفة

لتجف، ثم خلعت بيجامتها الواسعة، وتنهدت: آه.. الجنة! وغاصت في الماء الساخن.

كانت الشقة مزودة بأجهزة تدفئة. لكن بيڤن أحست بقليل من البرد وهي تجفف نفسها وترتدي البيجاما مجدداً. وعادت إلى السرير، تشعر بالتعب مجدداً، لكن ليس بالإرهاق كما في السابق... وعادت لتغط في نوم عميق مجدداً.

كان الظلام قد حلّ حين استيقظت.. أضاءت المصباح قرب السرير، ورأت ساعتها تشير إلى السادسة... فجأة أحست بالعطش، وتساءلت إن كانت تستطيع أن تدخل المطبخ لتعد لنفسها فنجان شاي.. لم تكن تعلم متى يعود جيرڤيه إلى المنزل، لكنها أدركت أن ما من أحد يدير شركة، يرمي القلم من يده ما إن تحل الخامسة تماماً. وعلمت كذلك أنه قد يمرّ وقت طويل قبل أن تراه مرة أخرى.

ازدادت حاجتها للشاي، بحيث لم تعد تستطيع الانتظار إلى أن يأتي جيرڤيه وتطلب إذنه لاستخدام المطبخ.. لأنها متأكدة أنه لن يمانع. نهضت وارتدت الروب، وأخذت صينية الأطباق المستعملة معها، وأخذت تضيء الأنوار وهي تسير.. دخلت الردهة، ثم غرفة الجلوس، فالباب الذي رأت جيرڤيه يستخدمه عدة مرات.

حين دخلت المطبخ، عرفت أنه لم يكن يمزح حين قال إنها وصلت في يوم جيد، وإن حالة شقته تزداد سوءاً بالتدرج إلى حين مجيء الخادمة لتنظيفها.. غرفة الجلوس كانت مرتبة، لكن على المطبخ بدت آثار يد شخص لا يعرف شيئاً عن طريقة الاهتمام بالمطبخ، ولا رغبة له أن يتعلم.

رفعت إبريق الماء على النار ليغلي، ثم ملأت الحوض بالماء الساخن، ووجدت سائل الجلي وبدأت تغسل الأواني المستعملة... كانت قد انتهت حين سمعت صوت مفتاح جيرڤيه في قفل الباب.

سمعته يفتح الباب ثم يقفله خلفه، ثم حين لم تسمعه يدخل إلى غرفة الجلوس، عرفت أنه ذهب مباشرة إلى غرفة الضيوف. . . لوت ابتسامة فمها الجميل حين فكرت بردة فعله وهو يدخل ليطمئن على حالها. وبسرعة جففت يديها وتركت المطبخ.

دخلت إلى غرفة الجلوس في الوقت الذي كان يدخلها هو أيضاً. . . ولكن ابتسامتها اختفت. . فمن الواضح وهو ينظر إليها بتعبير متجهم، أنه غاضب من شيء ما. وعرفت على الفور أن ما يغضبه ليس بالتأكيد مغادرتها السرير أو استخدامها منزله بحرية.

سألت مصدومة: «ما الأمر؟ ماذا. . ؟».

ـ تتظاهرين أنك لا تعرفين؟

ردت بدهشة: «إني حقاً لا أعلم. . . ».

وأحست بالضياع، لكنها لم تنتظر طويلاً لتفهم.

فجأة تفجر ما كان يغلي في داخله:

ـ آخر مكالمة تلقيتها اليوم كانت من شقيقتي! لماذا لم تقولي لي إنها زارتني بالأمس؟

ـ أنا آسفة.

وسرعان ما عرفت أن ذلك كان الشيء الذي أرادت أن تقوله له هذا الصباح. ولم تستطع أن تتذكره.

ـ لقد زارتك حين كنت. . .

وسكتت إذ لا بد أنه يعرف هذا. . ثم أكملت صادقة:

ـ كان رأسي يدور و. .

ـ إنه يدور فعلاً. . أم. .

همست، ثم أكمل متعمداً:

ـ أم ربما أخطأت أنا في فهمك على حقيقتك؟

ـ أخطأت في فهمي؟

لم تدم حيرتها طويلاً إذ أكمل بلهجة مهينة:

ـ هل أسأت فهمك، وفاتني أن أرى أنك مجرد أنثى أخرى تبحث عن مغامرة.

سحبت بيقن أنفاسها بصعوبة تحت وقع ما يقوله. . كان كلامه بمثابة سياط مؤلمة، لكن الألم سرعان ما تبدّل إلى غضب أعمى تفكيرها وأطلق يديها. ولو أنها وجدت الطاقة اللازمة لضربته. . لكنها وفّرت ما لديها لأنها تحتاج كل ذرة من طاقتها للخروج من تلك الشقة.

منحها الغضب قوة غريبة جعلتها تمرّ بقربه كالعاصفة لتذهب إلى غرفتها. . لم تعرف يوماً مثل هذا الغضب. كيف تجرأ هذا الرجل الذي أعجبت به واحترمته، أن يقول لها مثل هذا القول؟! حسن جداً. . فليذهب إلى الجحيم!

أخذت قميصها وبنطلونها، وكنزتها عن كرسي، ورمتها على السرير، وراحت تفتش عن حذائها وجواربها. . وحتى تذكرت أن ملابسها الداخلية مازالت في الحمام بانتظار أن تجفّ، كانت موجة الغضب قد تراجعت.

سأل جيرڤيه ديڤلرز: «ماذا تفعلين؟»

قفزت إلى ذهنها أجوبة عدة، لكنها تروت وجعلت التهذيب سيّد الموقف.

بدأت تقول بلهجة رسمية:

ـ شكراً جزيلاً على استضافتك لي سيد ديڤلرز!

لكنها رأت أنه لم يكن راضياً عما تقول، رغم أن غضبه كان قد هدأ أيضاً.

قال بصوت أجش: «هل تفكرين بالذهاب إلى مكان ما؟».

ـ وهل من شك في ذلك؟

ردت بغضب: «بعدما قلته لتوك، هل تتصوّر أنني سأبقى؟».

www.elromancia.com

وتمنت لو يخرج لتستعيد ملابسها الداخلية.

ـ حسن جداً، ربما كنت مخطئاً...

ـ لا مجال للشك في ذلك!

ـ حسن جداً.. سامحيني.

كان لسحره سلطة عجيبة يمارسها عليها لكنها وقفت في مكانها تنظر إليه بعناد.. فأكمل:

ـ سيجنّ جنون «شيريل تود» إن تركتك تخرجين في هواء الليل البارد.

تعلم بيڤن أنه لا يهتم لغضب الطبيبة أبداً، لكنها أصغت إليه وهو يتابع قائلاً:

ـ انظري إلى نفسك.. وجنتاك حمراوان وهذا يعني أن حرارتك مازالت مرتفعة.

ـ هذه ليست حمرة الحرارة بل الغضب!

لاحت في عينيه ابتسامة لم تكن تريد أن تراها. والأسوأ، أنها أحست بضحكة تهز أعماقها.

تمتم: «لم أظن أن لك طبعاً حاداً هكذا».

ردت: «لم يكن لدي مثل هذا الطبع حتى التقيتك».

فجأة، ظهرت الابتسامة على ثغره وحصل ما كانت تحاول أن تتفاداه، إذ راحت تبتسم هي أيضاً ضاربة بقرارها عرض الحائط.

ـ إذن.. ستبقين؟

ردّت بضعف: «أوه جيرڤيه!».

وأشاحت وجهها عنه... أنها فعلاً لا تريد الرحيل.. ربما وبخته شقيقته لأنه استقبلها في بيته فأزعجته أقوالها. ومن يدري ماذا يدور داخل عائلة؟

ـ هذا أفضل من «السيد ديڤلرز».

وارتفعت من قلبها ضحكة صغيرة وأحست بوقع سحره وهو يكمل:

ـ أيمكن أن أقترح معاهدة سلام؟

ـ معاهدة سلام؟

ـ انتظري لحظة.

واختفى قليلاً ليعود حاملاً حقيبة أوراقه التي فتحها وأخرج من بين أوراقه الكثيرة لفافة ورق.

ـ بيجاما رجالية لكن بقياسك.

وأعطاها اللفافة.

ـ هل اشتريت لي بيجاما؟

ـ بما أنك لا تعرفينني جيداً، فكرت أنك قد تحبين هذه أكثر من تلك الواسعة.

تعجبت بيڤن لفرط لياقته وحسن تدبيره... وأدركت أنه يتوقع أن تمضي عدة أيام قبل أن تستطيع ترك منزله.

كررت: «أوه.. جيرڤيه!».

وضحكت.

لكنها جمدت حين التقطت نظرته الثابتة على شفتيها.. وخبت ضحكتها، وفجأة هيمن على جو الغرفة توتر شديد. وانتقلت نظراته من ثغرها إلى عينيها في محاولة للتخفيف من حدة التوتر الذي كان هو أيضاً يشعر به.

ـ هل قال لك أحد يوماً، إن لك أجمل أنف؟

ردت بصوت أجش: «لا».

وأملت أن يعتقد أن سبب بحّة صوتها الانفلونزا...

ـ صدقيني.. لك أنف جميل جداً، ولونه وردي أيضاً... وأعتقد أن هذا أحد عوارض الانفلونزا.

www.elromancia.com

ضحكت . . كانت يجب أن تضحك . . . لتبدد تأثيره القوي فيها .
وسألها بعد أن تحوّل الجو إلى المرح : «جائعة؟» .
ردت بأدب : «قليلاً» .
ـ سأذهب لأسخن شيئاً من البراد .
وتحرك نحو الباب لكنه توقف :
ـ إذا لم تستنفدي قواك في محاولة إظهار طبعك الناري تعالي لتنضمّي إليّ على مائدة غرفة الطعام، لنصف ساعة فقط .
أعجبت بيڤن بالفكرة . . وسألت :
ـ باللباس الرسمي؟
ـ تعالي كما أنت .
وذهب إلى المطبخ يدندن أغنية .
ذهبت بيڤن ترتب شعرها . . وأحست بقلبها يخلو من الهموم .

* * *

٤ ـ العرض المرفوض

كان الطقس لا يزال رديئاً حين استيقظت بيڤن في الصباح التالي . . . إضافة إلى وابل المطر الذي كان يضرب زجاج النافذة، بدأت الريح ترافق المطر الآن . والحمد لله أنها ليست مضطرة للخروج في مثل هذا الطقس . . . ثم أدركت مصدومة أن عليها بالتأكيد الخروج!
جلست في السرير وأضاءت المصباح . . ما زال الوقت مبكراً، ولا داعي للعجلة . . واستندت إلى ظهر السرير، لتستنتج أنها كانت متعبة جداً فعلاً لتنسى أمر عملها . . إنها تشعر الآن بتحسن كبير . . . يجب أن تعود إلى العمل حتى لا يظن مديرها أنها ليست من النوع الذي يعتمد عليه .
سمعت جيرڤيه يتحرك في المنزل فأحست برغبة في النهوض لإعداد الشاي أو القهوة له . لكنها ترددت . . . فربما كان يرغب في إنجاز بعض الأمور بهدوء في الصباح .
كان مرافقاً رائعاً ليلة أمس على العشاء . وتذكرت كيف أنهما تحدثا في مواضيع مختلفة، وكيف أنه بدا مهتماً بالفعل بوجهات نظرها وآرائها . كما أعجبت هي بأفكاره وأصغت إليه باهتمام . كان بإمكانها أن تستمع إليه ساعات دون أن تملّ . لكن، ما انتهى الطعام، حتى رأت أن نظراته

www.elromancia.com

كلها متجهة إليها، وحين علق، بقوله: «كنت مرافقة جيدة».

عرفت أنه يذكرها بضرورة أن تعود إلى السرير.

قالت غير راغبة بأن تستغل ضيافته أكثر من اللازم: «ليلة سعيدة».

وعادت إلى غرفتها.

أخرجها صوت جيرڤيه وهو يسير في الردهة من أفكارها، ولأنها معجبة به، كانت الابتسامة جاهزة على وجهها حين دخل إلى غرفتها، يحمل صينية بين يديه.

قالت محتجة: «أوه جيرڤيه، ما كان يجب أن تفعل هذا!».

رد: آه.. أراك تتحسنين.

ـ فعلاً.. أنا أفضل حالاً الآن.. وأشعر بالذنب لأنك تضيّع وقتك بالعناية بي... كنت أنوي أن أغادر السرير بعد دقائق.

ـ أنت تشعرين بالتحسن لأنك استرحت.. وبضعة أيام أخرى من الراحة في السرير ستكون مفيدة جداً بعد الوقت العصيب الذي مررت به.

قالت بلهفة: «لا أستطيع البقاء في السرير لوقت طويل هكذا! لقد كنت رائعاً حقاً.. وأنا ممتنة جداً. لكن يجب أن أذهب الآن.. لا أدري أين كان رأسي منذ يوم السبت، لكنني نسيت عملي، ويجب أن أخرج من السرير لأعاود العمل».

أخذ جيرڤيه يتفرس بها. ثم قال: «آه نعم!».

بدا من لهجته أنه يعرف شيئاً تجهله، فهمّت تسأله: «ماذا..؟».

لكنه تقدم ليجلس على حافة السرير، وكأن ما سيقوله يحتاج إلى أكثر من لحظات، فنظرت إليه قائلة:

ـ هل كنت ستقول شيئاً؟

ـ نسيت أن أقول لك.. إنه لم يعد لديك عمل.

رفعت بيڤن عينيها، بدا لها أنها لم تسمعه جيداً.. فكررت:

ـ لم يعد لدي عمل؟

ـ اعتقدت أنك تريدين أن تعرف الشركة بما يجري.. لذا اتصلت بهم.

قالت بذهول: «اتصلت بهم!».

لكنها كانت واثقة أنها لم تقل له أين تعمل!

ـ لكنك لا تعرف ما اسم الشركة التي أعمل فيها!

ـ تركت أوراقك في سيارتي، وكانت تحمل اسم الشركة!

قالت بصوت ضعيف: «أوه».

ثم أكملت تسأل بتعاسة:

ـ هل قالوا إنهم لا يريدون مني أن أتابع عملي؟

ـ الواضح أن الوظيفة كانت لأسبوعين فقط، على أي حال، أنا قلت لهم إنك لن تعودي.

أذهلها تصرفه، ونظرت إليه فاغرة فاها: :

ـ ماذا فعلت..؟ لكنني أحتاج إلى هذا العمل؟

لم يبدُ عليه أنه يدرك مقدار أهمية هذا العمل بالنسبة لها.

ـ هناك وظائف أخرى.

ـ أجل.. لكن ليس لدي أية مؤهلات عمل!

ـ وهل تحتاجين إلى مؤهلات عمل لاعتراض الناس في الشارع؟

تلهت عن الموضوع الرئيسي:

ـ لا أعترض كل الناس.. كنت أنت ضمن مجموعتي من رجال الأعمال، وبدوت في سن الأربعين.

رد: «ستة وثلاثون».

وأدركت بيڤن أنهما ابتعدا عن الموضوع.. فأكملت:

ـ أجل.. حسن جداً، هذا هو المقصود! ولهذا عملي هام لي... لأنني لا أحتاج إلى مؤهلات لأقوم به! ألا تفهم؟! بعد أن أنهيت المدرسة

أمضيت كل وقتي في رعاية أبي والاهتمام بالمنزل، لذلك لا أملك أية خبرة بالعمل خارج المنزل.

لأنها تكلمت عاودها السعال فصمتت لتستعيد أنفاسها. ظنت أن جيرڤيه أدرك أهمية هذا العمل بالنسبة لها، لكنه قال بكثير من الرقة:

ـ هذا يذكرني بأنني لم أشكرك على ترتيب المطبخ قبل عودتي بالأمس.

أصبح وجهه جاد أو هو يردف: «وهذا يعطيني فكرة».

نظرت إليه بعينين واسعتين:

ـ بما أن لا عمل لك لتذهبي إليه، والخروج في مثل هذا الطقس سيؤذيك، فما رأيك بالبقاء هنا بضعة أيام أخرى، لتعدّي لي طعاماً منزلياً يحلم العزّاب أمثالي بالعودة إلى المنزل لتناوله؟

غمر الفرح قلبها.. حين أدركت أن أمامها فرصة لتأخير يوم عودتها إلى منزلها وإلى أيرين.. ولترد جميل جيرڤيه ولطفه الكبير...

سألته بسرعة: «أتريد مني أن أطبخ لك؟».

ـ إذا كنت بوضع يسمح لك بذلك...

ـ متى تريد تناول العشاء هذه الليلة؟

هكذا قبلت دون تردد.. وأعجبت به أكثر، حين ابتسم قائلاً:

ـ ما رأيك بالساعة الثامنة؟

ابتسمت: «لا تقطع شهيتك بتناول الطعام في الخارج!».

حذرها: «لا تتعبي نفسك.. فأنت لم تستعيدي كامل عافيتك بعد...».

ضحكت: «حاضر.. سيدي».

وقف متجهاً إلى الباب.

هناك التفت ونظر إلى وجهها المبتسم السعيد، وإلى شعرها الأشقر الكرزي المنسدل على كتفيها.. وقال:

ـ لا تستعجلي الخروج من السرير.. حاولي أن تظلّي فيه في

الصباح...

ـ حسن جداً.. حاضر.

لكنها أحست وهو ينظر إليها بأنه لا يثق بوعدها فهو يعرف أنها لا تنوي هذا.

لكنها كانت مضطرة للراحة قليلاً ذلك اليوم. غادر جيرڤيه المنزل وبعد حوالى نصف ساعة، نهضت من السرير، وفتشت عن الغسّالة التي وضعت فيها قميصها والبيجاما لتغسلهما ثم عمدت في هذا الوقت إلى الاستحمام. وبالبيجاما الجديدة، ذهبت تتفقّد خزائن المطبخ والبراد.

بعد عشر دقائق، توصلت إلى استنتاج. من المؤكد أن جيرڤيه لا يمضي وقت فراغه في إعداد الأطباق، لأنها لم تجد ما تعدّ منه وجبة طعام.

وأحست بالتعاطف مع السيدة التي تأتي كل يوم جمعة لتنظف منزله وتطهو له. إذ لم تجد إلا حبة بصل شاردة هنا، وبعض الثوم هناك.. إضافة إلى كميات صغيرة من مواد أخرى وبعض السمك المثلج، وبهذا عرفت بيقين أن ما لديها يكفي لإعداد طبق من السمك بالكاري.

أحسّت بتعب بسيط وبالحاجة إلى الجلوس.. وفكرت عند ذلك، أنها ما كانت لتستطيع الخروج لمزاولة العمل حتى لو كانت تلك الوظيفة لها. شعرت بامتنان عميق لجيرڤيه، فهو رغم مشاغله الكثيرة وجد الوقت الكافي ليذهب ويشتري لها بيجاما جديدة وليتصل كذلك برب عملها ويعلمه بوضعها.. وربما، لأن الجميع يصاب بالزكام بين حين وآخر، ولأن جيرڤيه أبدى احتراماً باتصاله بالشركة، قد تتمكن من التقدم إلى الشركة ذاتها طلباً للعمل عندما تصبح أفضل حالاً. وأدركت بتجهم أن ذلك يعني أن عليها العودة إلى منزلها.

منذ ذلك الوقت، وحتى حان وقت تحضير الطعام، اتجهت أفكارها إلى حياتها في السنوات الأخيرة. لقد كانت تسير على المنوال نفسه لئلا تقول على نحو ممل... وفكرت مرة أخرى بما حدث لها مؤخراً.

فما زال ما حدث لها منذ موت أبيها حتى استيلاء أيرين على المنزل، يبدو غير حقيقي، كما بدا لها أنه لضرب من الجنون أن تكون قد احتلت في الأيام الأربعة الأخيرة، غرفة الضيوف في منزل رجل غريب.

مع ذلك لم يبدُ جيرڤيه غريباً لها.. وعلى أي حال، لم يعد أي شيء يبدو حقيقياً.. فهل من المنطق أن ينتزع منها المنزل الذي عرفته طوال حياتها، لتأخذه امرأة كرهها أبوها أشد كره.

للحظة، اعترفت، أنها بحاجة إلى فسحة هدوء لتصحو من هذا الكابوس.. وسرّها أن تدرك أنها هنا في شقة جيرڤيه تجد ذلك المتنفّس.

كانت بيڤن قد غيرت ملابسها وارتدت بنطلونها وقميصها المغسول حين سمعت المفتاح يدور في قفل الباب.

قال معلقاً: «تبدين بصحة جيدة بما يكفي لتأكلي معي. وهذه الرائحة..!».

ابتسمت: «إنه الكاري.. بدأت تحضير الأرز في السابعة والنصف.. أولن تخرج الليلة؟».

سأل: «وهل تحاولين التخلّص مني؟».

اضطرت للابتسام: «أبداً!».

أحست بالسرور لأنه لن يخرج، ولكنها لا تعرف سبباً لسرورها بل ترغب حتى بالتهرب من الفكرة!.. نظرت إلى حقيبة أوراقه:

ـ أعتقد أنك ستعمل في مكتبتك فيما بعد.

ـ أعتقد هذا.

وتركها ليذهب ويغتسل بعد يومه الطويل.

شغلت بيڤن نفسها في المطبخ.. ولسبب مجهول، أرادت أن تكون الوجبة التي حضرتها ممتازة..

علمت أنها أصابت الهدف حين أفرغ جيرڤيه صحنه ووضع الشوكة جانباً ليقول لها: «إنها أفضل وجبة تناولتها هذه السنة».

سألت مسرورة: «هل أعجبتك؟».

ـ لذيذة جداً.

ثم طرح سؤالاً: «والآن.. ماذا ستطبخين لي لليلة الغد؟».

ما كان بالإمكان أن تشعر بيڤن بسعادة أكبر. فقد كان جاداً إذاً حين اقترح أن تبقى لبضعة أيام أخرى، لتطهو له وجبات منزلية!

ـ أوه.. في الحقيقة، خزائن المطبخ والثلاجة ليس فيها ما يمكن أن يطهى.

تمتم: «لم أفكر بهذا.. فالسيدة أندرهيل تعدّ الطعام ضمن متطلبات المنزل. ولم يخطر ببالي أن أطلب منها تخزين شيء».

وبقيت عيناه مثبتتين عليها:

ـ أعدّي لائحة بما تحتاجين إليه، وسأرسل الحاجيات غداً.

قالت: «أستطيع أن أشتريها بنفسي.. لا داعي أن..».

قاطعها: «أوه.. لا داعي للخروج.. قد تبدين ظاهرياً بصحة جيدة.. بيڤن الصغيرة.. لكنك، لست جاهزة بعد لحمل سلة والتبضع.. لقد أصبت مرة بالانفلونزا.. وأحسست بالإنهاك لأسابيع بعدها».

لم تكن واثقة من أنه كان يخترع هذه القصة، لكن، ربما كانت فعلاً غير جاهزة بعد لحمل أوزان ثقيلة.. تراجعت عن احتجاجها، وابتسمت وهي تكمل:

ـ إذن، سأذهب إلى النوم باكراً وأتركك لتعمل.

قال معلقاً بمرح: «هذا أشبه بحياة عائلية».

عندها بدا أن من الممكن أن تثير موضوعاً كان يزعجها منذ هاجمها بغضب ليلة أمس.

ـ على فكرة.. لقد نسيت فعلاً زيارة شقيقتك يوم السبت.

ثم تمنت لو أنها لم تثر الموضوع.. فقد اختفت كل مظاهر المرح عن

www.elromancia.com

وجهه، وخشيت أن يكون ما زال غاضباً منها.

رد بهدوء: «أعرف.. هل اعتذرت بشكل ملائم عن تصرفي الفظ؟».

ردت بسرعة: «لا داعي للاعتذار».

علمت أن لزيارة شقيقته أهمية لسبب ما.. فأردفت:

ـ أردت منك أن تعرف أنني نسيت حقاً. لكنها لم تترك رسالة. وأنا واثقة أنني كنت...

قاطعها: «لا تهتمي».

ابتسمت له عبر الطاولة:

ـ أرجو ألا يكون نسياني قد تسبب بمشكلة.

توقعت أن يقول لا، بالطبع لا.. لكنه لم يقل شيئاً من هذا.. بل أطرق لحظات يفكر ثم فاجأها حين قال:

ـ فلنقل.. أن المشكلة كانت موجودة في الأصل، ثم أضيفت إليها مشكلة رؤية روزيلاند لك هنا.

اتسعت عينا بيڤن البنيتان الدافئتان: «أوه.. أنا آسفة!».

أقلقها أن تكون سبب مشكلة لذا لم تستطع إلا أن تسأل:

ـ أي نوع من المشاكل؟

صمت للحظات طويلة وجلس يتفرس بها عبر الطاولة. لكن، حين ظنت أنها لن تعرف الردّ أبداً، ربما لأنه يعتبر المسألة شخصية، استقام في كرسيه، ورد بهدوء، وعيناه ثابتتان عليها.

ـ يبدو لي بيڤن.. أن لدينا أشياء مشتركة أكثر مما كان أي منا يتصوره حين وقعت عليّ منهارة، يوم الجمعة.

إنها لا تكاد تصدق أنها التقته يوم الجمعة الماضي فقط. ولم تستطع سوى أن تصاب بالدهشة حين علمت منه، وفي هذه اللحظة بالذات، أن لديهما أشياء مشتركة.

سألت: «ماذا؟ وكيف؟».

هز كتفيه.. لكنه هذه المرة لم يبقها على حيرتها:

ـ يبدو أن كلينا تعرض لصدمة جرّاء وصية.

سألت بدهشة: «أنت أيضاً؟».

هز رأسه، وتابع:

ـ أنت، ترك لك والدك كل شيء دون شروط. لكنه لم يطلب من أي محامي أن يصيغ له الوصية. أما أنا.. فقد ترك جدي وصيته بشروط قاسية لا تسمح لي، ولا لبقية العائلة، بأن نطالب بشيء، ما لم أذعن أنا قبل عيد ميلادي السابع والثلاثين، لشرط خطير جداً.

تذكرت بيڤن أنه قال لها، إن جده مات منذ ستة أشهر.. وتذكرت كذلك كيف عرفت على الفور أنه وجده كانا مقربين جداً. لكنه قال لتوه إنه تأذّى من وصية قريب بغيضة.. وأحست بالفضول لمعرفة التفاصيل.

قالت: «أنت في السادسة والثلاثين الآن، لذا، لديك مهلة سنة تقريباً لتنفيذ الشرط، إذا أردت أنت وبقية أفراد العائلة المطالبة بالإرث».

ـ لدي أقل من خمسة أشهر لأنفّذ هذا الشرط.. ولهذا السبب تسبّب لي شقيقتي ووالداي الكثير من المشاكل.

قالت متعاطفة: «أوه.. أنا آسفة.. أليسوا مضطرين لتنفيذ الشرط هم كذلك؟».

ـ أبداً، فكلاهما متزوج.

بدأت تستنتج أن ذلك الشرط مرتبط بزواج ما. بينما تابع جيرڤيه كلامه:

ـ كان زواج جدي مثالياً، ووالداي وجدا السعادة ذاتها، وكذلك روزيلاند.. لذا أراد جدي الشيء ذاته لي.

ـ أراد لك زواجاً سعيداً؟

ـ أعتقد أنه استبعد فكرة زواجي بعدما رآني متمتعاً بحريتي

وعزوبيتي . . ولم يشترط عليّ زواجاً «سعيداً» بل قال فقط إنني إذا أردت الاحتفاظ بأملاك العائلة وأموالها يجب أن أتزوج قبل عيد ميلادي السابع والثلاثين.

صاحت بعجب: «يا الله!».

ـ إنه لأمر مهول حقاً! وعائلتي تضايقني بإلحاحها منذ عرفوا شرط الوصية.

ـ لأنهم يخشون أن يخسروا الميراث إذا لم تذعن؟

ـ يعتبرون هذا الميراث من حقهم . . لكن ما من أحد منهم يحتاج إلى التخلي عن حريته للحصول عليه.

حاولت بيڤن أن تتذكر مظهر شقيقته وبدا لها أن ملابسها كانت أنيقة ثمينة. لكنها لم تكن واثقة تماماً من هذا . . فسألت:

ـ هل هم فقراء . . أعني عائلتك؟

قال بوضوح: «يا إلهي . . لا! لكن هذا لم يمنعهم من ادعاء الفقر . . وقد علم جدي أنهم سيفعلون ذلك . . علم أنهم في سبيل الحصول على إرثهم المشروع سيدفعون بي إلى اتخاذ الإجراء المناسب».

قالت تواسيه: «أوه . . جيرڤيه!».

وراحت تفكر أن مصاب جيرڤيه أفدح بكثير من مصابها هي بسبب وصية أبيها. وفي ضوء ما عرفته أدركت بيڤن أبعاد زيارة شقيقته واتصالها به في المكتب وصاحت:

ـ أوه . . يا الله! كنت تفضل كثيراً ألا تراني شقيقتك هنا . . أليس كذلك؟

ـ لقد تشجعت أكثر حين رأتك هنا.

وفكرت بيڤن أن آخر ما تريده هو أن تسبب المتاعب لجيرڤيه. سارعت: «هل أذهب؟».

ـ سيكون هذا كمن يقفل باب الإسطبل بعد هروب الجواد . . أليس

كذلك؟ أعرف روزيلاند جيداً . . إنها طيبة وودودة لكنها تستطيع أحياناً أن تحسب الأمور ببرودة مطلقة، وهي لن تستسلم بسهولة بعد أن رأتك هنا . . لذلك لن يتغير شيء لو رحلت.

تمتمت: «هل أنت واثق؟».

قال:

ـ أنا واثق . . ولو أنني أعتقد أنهم بعد معرفتهم بوجودك هنا يعدّون لحملة إقناع حامية.

ـ حامية؟

ـ توقعت أن يتصل بي أبي في الحال . . . لكنه لم يتصل . . . وهذا يعني أنهم يعدّون خطة ما.

كان يتكلم كما لو كان في الجو حرب! لكنها كانت حرباً فعلاً، لأنه يدافع عن حريته الغالية بشراسة!.

وسألت: «هل ستعلم شقيقتك والديك بالأمر؟».

ـ إنها على اتصال دائم بأمي، وهي إلى ذلك تعيش قريباً من القصر.

ـ القصر؟

ـ إنه من أملاك العائلة وهم يعيشون فيه.

أدركت بيڤن أن جده ترك له الكثير، وأن جيرڤيه يتحدر من عائلة ثرية أصلاً.

لكن ذلك لن يشفع به أبداً! أرادت أن تساعده بأية طريقة، لترد له ولو مقداراً ضئيلاً من لطفه.

ـ يمكنني أن أتصل بشقيقتك لأشرح لها حقيقة الموقف.

وصمتت حين هز جيرڤيه رأسه نفياً:

ـ لقد قلت لها بالأمس إنك مجرد صديقة . . .

ـ لكنها لم تصدقك؟

ـ لقد ذكرتني بأنك كنت ترتدين البيجاما التي أهدتني إياها في عيد

الميلاد.

توردت وجنتا بيڤن، وهي تفكر بالاستنتاج البديهي الذي توصلت إليه شقيقته، وهي تراها تلبس ثياب النوم الخاصة بجيرڤيه.

وقالت تحتج: «ألم تشرح لها أنني كنت مريضة.. وأنك كنت تعتني بي؟».

ـ طبعاً.. لكنها ذكّرتني بأنني لا أحب المرضى ونسيت كيف اعتنيت بجدي في أيامه الأخيرة. وأصرت أنني ما اعتنيت بك وأقمتك في شقتي وألبستك ملابسي إلا لأنني مغرم بك.

ماذا تستطيع أن تقول؟ يبدو أنه دفع ثمن لطفه.. قالت صادقة:

ـ أنا آسفة.. هل هناك ما أستطيع أن أفعله؟

ـ أبداً، ما دام الجميع يضايقني ويحثني على الزواج. ليس عليّ سوى الانتظار حتى يمر عيد ميلادي السابع والثلاثين.

سألت مترددة: «أوليس هناك من بين النساء اللواتي تعرفهن من تعجبك.. لتتزوجها؟».

رد بسؤال، وهو مذهول:

ـ امرأة تعجبني إلى درجة التخلي عن حريتي؟ يجب أن أكون مجنوناً بها قبل...

فجأة صمت.. وأمام ذهولها المطلق، قال بخفة:

ـ أعتقد أنني أستطيع الزواج بك.

تمكنت بيڤن من السيطرة على ذهولها، لكن ليس على الغضب الذي تلاه.. فهي لا تحتاج إلى استخفافه هذا ولا إلى عرضه الذي لا يمكن أن تأخذه على محمل الجد... لا شكراً جزيلاً..

وردت عليه فوراً وبحدة: «يا لهذا المعروف!».

وظهر مجدداً طبعها الناري الذي لم تعرفه قبل أن تلتقي به وقفزت عن كرسيها، والشرر يتطاير من عينيها. لكنه بدا مرتاباً بردها، رغم ما ظهر

على وجهها من ذهول.. فوقف بدوره، وعيناه لا تفارقان عينيها البنيتين اللامعتين.. وسأل بعدم تصديق: «هل ترفضين طلبي؟».

ردت بحدة: «بكل تأكيد!».

يا لجرأته! وهي واثقة من أنه ليس كذلك فهو يحسب الأمور ببرودة مطلقة تماماً كما وصف شقيقته.

وقفت للحظات طويلة تنظر إليه بحدة، وهو يتفرس بها.. ثم ظنت أنها رأت لمعاناً جديداً في عينيه.. وتملكها إحساس غريب بأنها حين رفضت طلبه، أصبحت نوعاً من التحدي بالنسبة له.

لكنها سرعان ما استبعدت الفكرة حين قال موافقاً وبلهجة مرحة:

ـ ربما أنت على حق.. قد لا تكون فكرة صائبة.

ثم أقفل الموضوع بحزم:

ـ يبدو أنك متعبة.. لماذا لا تذهبين إلى الفراش.. سأرفع الأطباق بنفسي.

كان يمكن لبيڤن في أي وقت آخر أن تحتج وتصر على البقاء لتساعده.. لكنها كانت فعلاً ترتعش... بسبب عرضه وبسبب ردة فعلها عليه. لم تكن تدري لماذا تشعر بمثل هذا الاضطراب والمرارة. وأرادت أن تكون وحدها الآن، فتمنت له ليلة سعيدة، وتركته.

* * *

٥ ـ أنتِ السبب

استفاقت بيڤن، وفتحت عينيها فرأت أن جيرڤيه قد وضع لتوه فنجان شاي على الطاولة الصغيرة قرب السرير. . وارتدّ على عقبيه كأنما يريد التسلل إلى الخارج.

تمتمت وكأنها تحلم: «كم الساعة؟».

قال بلهجة لطيفة هادئة: «عودي إلى النوم».

استفاقت بيڤن تماماً، فتذكرت قائمة الأغراض التي كتبتها، حين تركته ليلة أمس.

قالت بصوت ناعس: «لا تنس ما يجب أن تشتريه من بقالة».

ورفعت نفسها لتلاحظ أن القائمة لم تعد على الطاولة. . وقال بلهجة مطيعة:

ـ حاضر عزيزتي.

لاحت في صوته نبرة مرح وحين نظرت إليه، انفجر بالضحك، ثم هز رأسه: «إلى اللقاء».

وخرج من الغرفة بسرعة.

عادت بيڤن إلى النوم مجدداً. لتستيقظ بعد حوالى الساعة وهي تشعر بتحسن كبير، مع ذلك، لم تشعر برغبة في البدء بالعمل.

استحمت، وارتدت البيجاما الجديدة. ثم أخذت المناشف من

الحمام، وما يحتاج إلى الغسيل، ثم شغلت الغسالة. . وبدأت بتنظيف الشقة وترتيبها. أحست أنها تود لو تجمع كل الغسيل من حمام جيرڤيه وتغسله، لكنها أدركت أنه قد يعتبر ذلك تطفلاً، ويحتج على دخولها إلى غرفة نومه وحمّامه الخاص.

جعلتها فكرة التطفل على حياته، تفكر بجد في العودة إلى «آبوت تشيني». . أعدّت لنفسها فنجان قهوة، وقررت تأجيل التفكير بالأمر حتى الغد. . وتذكرت بسعادة كيف أن جيرڤيه أحب ما أعدته ليلة أمس من الطعام. . وكيف طلب منها أن تطهو له وجبة أخرى هذه الليلة. . لذلك لن تستطيع العودة إلى منزلها قبل أن تفعل ما طلبه منها.

انتظرت بيڤن حتى جفّ الغسيل لتدخل إلى غرفتها وترتدي ملابسها. . . ولم تمض إلا دقائق حتى رن جرس الباب. أحست بالذعر حين فكرت بأنها قد تكون شقيقة جيرڤيه روزيلاند. وترددت في فتح الباب. ثم قررت ألا تعطيها مزيداً من الوقود لنارها. . . وقد لا تكون هي الطارق. . . ربما جيرڤيه أرسل البقالة. . .

رن الجرس مجدداً. . وخشيت بيڤن أن يكون البقال فيعيد الطلبات إلى المحل. . فطارت إلى الباب.

قال رجل نحيل وهو ينوء تحت ثقل صندوق:

ـ ظننت أنك في الخارج. أين تريدين وضع هذا سيدتي؟

ابتسمت له: «في المطبخ».

وسارت أمامه. .

ما إن خرج الرجل حتى بدأت بيڤن تفرغ الصندوق. . مستمتعة بما تفعل. . أخيراً وجدت أنه حان وقت البدء بتحضير العشاء. . وفكرت بأن تحضر بعض المعجنات قبل أن تغادر الشقة غداً.

حين عاد جيرڤيه إلى المنزل تلك الليلة استقبلته مرة أخرى رائحة لذيذة تتصاعد من المطبخ. وحيا بيڤن قائلاً:

ـ قد أعتاد على التمتع بهذا.

ودخل رأساً إلى المطبخ، حاملاً حقيبة أوراقه. سأل وهو يشم رائحة الطعام برضى:

ـ ماذا سنأكل الليلة؟

ـ السمك في البداية، يلي ذلك الدجاج، وبعض الخضار، والسلطة، وفطيرة تفاح للتحلية... هل هذا جيد؟

ـ وهل يجب أن أنتظر حتى الثامنة؟

أحست بيڤن بالغبطة مع أنها تعرف أنه يمازحها. ورافقها ذلك الإحساس بالسعادة حين جلسا فيما بعد في غرفة الطعام، وراحا يأكلان ويتحدثان دون توقف.

قالت وهي ترشف كوب العصير: «إنه لذيذ جداً».

ـ وهذه وجبة رائعة.

ـ هل أعجبك الدجاج؟

ـ ممتاز.. في الواقع، يمكنني أن أعترف لك، أنها المرة الثانية التي أتناول فيها وجبة لذيذة كهذه هذه السنة!

ضحكت.. ولم تستطع منع نفسها من أن تقول: «أحب كذبك».

أدركت أنها لم تشعر بسعادة كهذه منذ فترة طويلة وتلاشى ضحكها، حين رأت نظرته تتحول من عينيها إلى ثغرها المبتسم المفتوح، وتعبير وجهه يصبح جاداً، وهو ينظر إلى عينيها..

وسألت: «هل من خطب ما؟!».

ـ لا شيء أبداً.. كنت أتساءل فقط، إذا كان بإمكانك بعد وجبة رائعة كهذه، أن تكوني قاسية القلب وتتركيني أتناول وجبة جاهزة ليلة غد.

بدأت: «أنا..».

إنها تشعر بالسعادة معه في منزله، وتعرف أنها، في أعماقها، لا تريد

أن تتركه.. ليس بعد.. ليس وهي تعرف مسبقاً أنها في المنزل الذي ستضطر قريباً أن تعود إليه، لن تكون سعيدة أبداً.

سألت: «هل تعني أنك تريد مني أن أطهو لك عشاء الغد أيضاً؟».

قال: «لماذا لا تبقين هنا حتى تصبحي فعلاً بصحة جيدة؟ ابقي حتى يوم الأحد على الأقل».

ثم ابتسم ليضيف: «وسوف أقلك إلى منزلك بعد أن نتناول الروستو اللذيذ الذي ستحضرينه لي».

ضحكت: «ماذا أستطيع أن أقول؟ أولن.. تخرج مع أحد نهاية هذا الأسبوع؟».

ـ سأبقى بعيداً عن الأضواء طوال الأشهر الخمس القادمة. ولن أستقبل أحداً في منزلي، إلى ما بعد هذا التاريخ...

في منزله.. حيث من الممكن لشقيقته أو لأحد أبويه أن يزوره دون توقع.. أدركت بيڤن أن جيرڤيه يشعر بالأمان معها دون ريب. وهي لا تعرف ما ينبغي أن تحسّ به... فعائلته تعرف أنها تقيم معه... وهو طلب يدها حتى لو كان لا يعني ما قاله.

كما في الأمسية السابقة، قال جيرڤيه إنه سينظف المائدة بعد الطعام، وقالت على الفور: «سأساعدك».

قال بحزم: «لا.. لن أدعك تفعلين. أنت لست بخير كما تظنين».

قالت مستسلمة: «أراهن أنك تكون قاسياً بعض الأحيان».

ضحك: «عندما تدعو الحاجة...».

ـ إذن استمتع بالتنظيف.. عمت مساء.

وحركت ضحكته أحاسيس غريبة في أعماقها.

في صباح اليوم التالي استفاقت لتراه يخرج بهدوء من غرفتها بعد أن ترك لها فنجان الشاي وكان مرتدياً ثياب العمل. فتحت فمها لتحييه.. لكنها اكتشفت فجأة أنها مغمورة بخجل غريب.. وحتى استجمعت

نفسها، متسائلة عما ذلك الخجل.. كان جيرڤيه قد خرج.

لم تبق كثيراً في السرير ذلك الصباح، فقد دفعها التفكير بلطف جيرڤيه إلى النهوض... برغم القسوة التي لمحتها في تعابيره ليلة أمس، دعاها لإطالة إقامتها معه حتى يوم الأحد.

ما إن استحمت وارتدت ثيابها، حتى ذهبت إلى المطبخ وبدأت تحضر الطعام، وهي تفكر بالغضب الذي ظهر عليه حين عاد يوم الإثنين، وأراد أن يعرف لماذا لم تقل له إن شقيقته زارت شقته في اليوم السابق.. لغضبه.. مثل سحره.. قوة جامحة.

كانت منصرفة إلى تحضير بعض المعجنات وغارقة في بحر من الأفكار حين رن جرس الباب.

أجفلت للحظات وظنت أن شقيقة جيرڤيه، روزيلاند، بالباب. ثم وبّخت نفسها لتفكيرها كثيراً بشقيقته.. وبسرعة غسلت يديها.. وذهبت لتفتح الباب وعلى وجهها ابتسامة. فربما قرر جيرڤيه إرسال المزيد من الحاجيات مع ذلك الرجل النحيل. لكنها لم تجد رجلاً نحيلاً، بل امرأة أنيقة شقراء الشعر، في حوالى الثلاثين من عمرها.. وخبت ابتسامة بيڤن.

قالت المرأة بلطف: «ما زلت هنا إذن».

حاولت بيڤن الرد: «لقد قال جيرڤيه.. أنا..».

وأحست فجأة بالإحباط حين دخلت تلك المرأة وراحت تتشمم رائحة الطعام.. وسرّ بيڤن أنها كانت ترتدي ملابسها، لا البيجاما التي اختارتها هذه المرأة.

قالت تشرح سبب رائحة الطبخ: «كنت أطهو».

وكادت تتأوه لسخف ما تقول.

قالت شقيقة جيرڤيه ديڤلرز: «واضح.. هناك طحين على خدك».

ثم نظرت إلى بيڤن نظرة حادة مباشرة، وسألت: «متى ستجعلان

هذا قانونياً؟».

ـ نجعل ماذا...؟

ثم اكتشفت بيڤن أن جيرڤيه ليس الفرد الوحيد في العائلة الذي يصبح قاسياً حين تدعو الحاجة.. فقد قاطعتها شقيقته بحدة.

صاحت نافذة الصبر: «أوه.. هيا الآن! لقد طلب جيرڤيه الزواج بك.. أليس كذلك؟».

ـ أجل.. لكن...

ـ لكن.. نكاية بنا طلب تأخير الزفاف إلى ما بعد شهر حزيران.

احتجت بيڤن بحدة: «لا!».

هذه المرأة لا تترك لها مجالاً لشرح حقيقة الموقف! ولن تفعل.. قبل أن تعلم ما جاءت لتعرفه. صاحت المرأة بفرح:

ـ ستتزوجان قبل عيد ميلاد أخي!

وبدت فجأة كأن كل أحلامها ستتحقق، وتابعت: «على فكرة.. أنا روزيلاند.. وأنا...».

لقد استمرت هذه المهزلة طويلاً.. لذا قاطعتها بيڤن بسرعة:

ـ أعرف.. لكن يجب أن تعرفي...

ابتسمت روزيلاند: «أخبرني عنك».

رفضت أن تسمع غير ما تريد سماعه. وارتدت إلى الباب، قائلة:

ـ سنصبح صديقتين.. أنا واثقة من هذا.

وفتحت الباب:

ـ لن أستطيع البقاء الآن.. عليّ القيام بأشياء كثيرة.

لحقت بيڤن بها إلى خارج الشقة:

ـ لكن.. روزيلاند! أنا.. إنها..

لكن روزيلاند كانت قد هبطت بالمصعد...

عادت بيڤن إلى الداخل وتوجهت فوراً إلى المطبخ لتنقذ الطعام ثم

انهارت على كرسي في المطبخ تشعر بالهزيمة. لقد حدث كل شيء بسرعة! إنها غير معتادة على التعامل مع أشخاص مثل روزيلاند. لكن ماذا فعلت الآن؟ لقد جعلت شقيقة جيرڤيه تعتقد أنهما سيتزوجان قبل بلوغه السابعة والثلاثين.. وسوف يقتلها جيرڤيه لأجل هذا!

انتفضت بيڤن واقفة، فهي لن تستطيع البقاء هنا مكتوفة اليدين طوال بعد الظهر.. نظرت إلى ساعتها التي كانت قد تجاوزت الثانية بدقيقتين.. هل يجب أن تتصل به، أم ترتدي معطفها وتغادر منزله بسرعة؟

يجب أن تتصل به.. ولو لتحذره، وتبرىء نفسها.. فلا بد أن شقيقته ستتصل به سريعاً.. وكذلك والداه.. أوه.. يا إلهي!

خرجت من المطبخ قبل أن تنهي إعداد المعجنات.. وأخذت تفتش عن دليل الهاتف.. لأنها ظنت أنها لن تتمكن من الكلام مع جيرڤيه بسهولة، فكرت أن تترك اسمها، وتطلب أن يتصل بها بسرعة طارئة، فقد يتصل في أول فرصة.

قالت ما إن ردّت عاملة الهاتف:

ـ هل أستطيع التحدث إلى السيد ديڤلرز؟

أجابتها بلطف: «هل أستطيع أن أعرف بخصوص ماذا؟».

ـ إنها مكالمة شخصية.

ـ لحظة من فضلك.

بعد قليل، سألها صوت نسائي آخر عما إذا كانت تستطيع مساعدتها:

ـ أريد التحدث مع السيد ديڤلرز في أمر شخصي.

ـ أنا آسفة.. إنه في اجتماع بدأ منذ خمس دقائق.

ـ هل يمكن أن تنقلي إليه رسالة حال انتهاء الاجتماع؟

قالت أماندا ريستال: «أخشى ألا أرى السيد ديڤلرز اليوم

فالاجتماع الذي يرأسه من المقرر أن يستمر ساعات بعد.. ولقد أعطى السيد ديڤلرز تعليمات صارمة بعدم مقاطعته.. لذا لن أتمكن من تمرير الرسالة له.. إلا إذا كانت المسألة مسألة حياة أو موت...».

للحظات فكرت بيڤن أن تقول إن رسالتها ملحة. لكنها تنهدت لتقول:

ـ لا.. ليست الرسالة مهمة إلى هذا الحد... شكراً على أية حال.

وأقفلت السماعة.

راحت تفكر في ما تستطيع أن تفعله ولكن فجأة استنتجت أن شقيقة جيرڤيه لن تستطيع الاتصال به أيضاً. وأحست بأن هماً كبيراً أزيح عن كاهلها، وعادت إلى المطبخ.

صحيح أنها تشعر براحة كبيرة إلا أنها فقدت الإحساس بالسعادة الذي كان يغمرها قبل زيارة روزيلاند... فالمشكلة لم تُحلّ بعد!

ثم أخذت تفكر في أنها ستحظى بفرصة التحدث إليه قبل روزيلاند، لتشرح له حقيقة ما حصل، وعلى ضوء ذلك يقرر ما عليه أن يفعله.

حاولت بعد ذلك أن تتناسى الموضوع إلى حين عودته، لكنها لم تستطع ذلك. ومع اقتراب موعد عودة جيرڤيه بدأ القلق يتنابها، فمن المؤكد أن روزيلاند زفت «الخبر السعيد» لوالديها.

كانت بيڤن تحضر المائدة حين سمعت مفتاح جيرڤيه في القفل.. توقعت أن يكون متعباً بعد الاجتماع، فقررت أن تدعه يتناول طعام العشاء أولاً ثم تخبره بما حدث.

ثم خطر لها فجأة أن أخته قد تحاول الاتصال به فور وصوله إلى المنزل، أو ربما تأتي لزيارته في أية لحظة. خفق قلبها لهذا الخاطر وخرجت مسرعة من المطبخ.

قابلت جيرڤيه في غرفة الجلوس، حيث كان يبحث عنها. جمدت في مكانها، وهي ترى تعابير وجهه الغاضبة ونظراته القاسية. رمى بحقيبته

على الأريكة، بحركة تنمّ عن انزعاج شديد. وفكرت بيڤن أن اجتماعات مجالس الإدارة، غالباً ما تكون عاصفة تنهك الأعصاب. وها هي الآن ستزيد الطين بلة.

اختارت كلماتها بدقة قبل أن تقول:

ـ يبدو أن يومك كان متعباً!

تجاهل سؤالها... وبدا عدائياً وهو يقول لها بلهجة ساخرة لاذعة:

ـ هل اخترت الخاتم أم بعد؟

لم تدرك ما يعنيه للوهلة الأولى... لكن سرعان ما أحست بالغثيان حين بدأت تفهم:

ـ خاتم!؟.. أوه.. لا! وهل اتصلت بك شقيقتك؟

سخر منها: «أوه لا.. لم تتصل!».

ـ لكن..

ـ فعلت ما هو أفضل! لقد حضرت إلى مكتبي!

تشتت أفكار بيڤن: «لكن..».

ـ لم يستطع أحد أن يمنعها من اقتحام مكتبي ومقاطعة الاجتماع الذي كنت أرأسه... كانت تطير فرحاً ولم تستطع الانتظار حتى انتهاء الاجتماع لتهنئني على عقد خطوبتي!

شهقت بيڤن: «لا! أوه.. لا!».

قاومت لتستجمع شجاعتها، وقالت بصوت أجش:

ـ وأنت أنكرت هذا.. بالطبع؟

ـ كيف أستطيع ذلك؟! أنت تقول لي (أكاد أطير فرحاً لأجلك! لم تعد الدنيا تسع فرحتي حين أخبرتني بيڤن أنك طلبت منها الزواج)!

تمتمت: «أنا لم أقل قط أبداً.. قلت.. لكنني لم أقل.. ليس هذا ما حصل!».

ثم بدأت تغضب وصاحت فجأة:

ـ اللعنة! لم أستطع قول كلمة.. كانت تتحدث دون اعتبار لي! وأربكتني فقلت أشياء لا أعنيها.. هناك..

أدركت من التعبير الذي علا وجهه أنه لا يصغي إلى وجهة نظرها، وصمتت فجأة... فصاح:

ـ إذن، أنا المخطىء الآن! غلطتي أن الحماقة كانت سيدة الموقف!

خطت بيڤن خطوة أخرى، ثم استبدّ بها ذعر شديد.. وتوقفت كالميتة في مكانها، ثم استدارت ببطء، وهمست بارتجاف: «أوه.. لا!».

رد بغظاظة: «أوه.. بلى!».

لكنه فجأة راح يتمايل في مكانه وفي عينيه لمعان السخرية.. وقال متشدقاً:

ـ ألن تعطي خطيبك قبلة؟

كانت بيڤن تنظر إليه مرتعدة.. لكن الطريقة الساخرة التي أشار بها إلى خطوبتهما رفعت روحها المعنوية وصاحت به: «إذهب إلى الجحيم!».

وخرجت إلى الردهة متجهة إلى غرفتها.

ما إن وصلت حتى بدا لها أن كل قوتها تلاشت وأحست بضعف عام. فتهالكت على حافة السرير وبدأت تلوم نفسها بمرارة.

حاولت إلقاء اللوم على روزيلاند في حين حاول جيرڤيه أن يلوم نفسه أولاً، وهو لا لوم عليه.. كانت تعرف كل شيء، وكل ما حدث إنما هي السبب فيه... تعرف أن شقيقته متلهفة ليتزوج قريباً... وتعرف أن والديه متلهفان مثلها تماماً. كان يجب أن تكون حذرة منذ لحظة دخول روزيلاند إلى الشقة...

وكيف لها أن تدرك مآرب الناس، هي الفتاة التي عاشت حياة رتيبة لا تحركها أية أحداث أو مفاجآت... لكنها تنبهت إلى أن الكثير حدث منذ وفاة والدها... أولاً جاءت أيرين لطلب المال، ثم احتلت المنزل..

ثم تذكر أوليفر الذي لم يلمس يدها حتى الآن، أن يطلب الزواج منها..
ثم أصابتها انفلونزا كانت الصدمة سببها الرئيسي وانتهى بها المطاف بأن يغمى عليها بين أحضان رجل غريب أخذها ليعتني بها في منزله... واعترفت أن هذا أعجبها!

لكن كيف يسعها الآن أن تجد حلاً للمشكلة التي تسببت بها إقامتها في شقته!؟ من حقه أن يغضب فعلاً. ثم سمعت صوتاً خفيفاً في الغرفة.. فرفعت نظرها لترى أن جيرڤيه لحق بها ليقف في باب الغرفة.

تلاشت تعابير الغضب والسخرية عن وجهه، وظهر عليه التصلب وكأنه في خصام مع العالم بأسره.

تجنبت النظر إليه لكنها سمعته يتحرك داخل الغرفة، وأحست بالفراش يهبط وهو يجلس إلى جانبها.

إنها مدينة له باعتذار. وتعرف هذا. استجمعت شتات أفكارها لتقول له بهدوء:

ـ أنا السبب في كل هذا... أليس كذلك؟ قلت لي إن روزيلاند قد تكون قاسية باردة.. لكني لم أعرف أن أسلوبها متسلط ومباشر... مع ذلك كان يجب أن أستعد لمثل هذا الموقف.

سأل بهدوء: «كيف حدث هذا؟».

ـ حتى الآن لست واثقة.. فتحت الباب، ورأيت روزيلاند هناك، ثم دخلت، وقبل أن أعي ما يحصل كانت تسألني بنفاد صبر ما إذا طلبت الزواج بي. ووجدت نفسي أقول «أجل» قبل أن أفكر. ثم، حين حاولت شرح موقفي، غادرت المنزل، فأدركت أنني أعطيتها انطباعاً بأننا سنتزوج قبل عيد ميلادك القادم.. ولا تسألني كيف. لم أكن أقصد.. أقسم لك.

استدارت ببؤس لتنظر إليه، ثم تابعت:

ـ حاولت الاتصال بك على الفور، لكن أماندا ريستال مساعدة

سكرتيرتك الخاصة، قالت إنك في اجتماع مطوّل وإنها لن تراك قبل خروجها.. لذا لم أترك لك رسالة.

صمتت قليلاً، ثم أضافت بضعف:

ـ ظننت أن روزيلاند لن تستطيع الاتصال بك هي أيضاً... هل تصدقني؟

رد بهدوء: «طبعاً».

ثم أدركت بيقين أنه لو كان يشك في كلامها مثقال ذرّة لما بقيت حتى الآن في شقته... وفكرت أن تحسم الأمر معه حالاً:

ـ لا بد أن شقيقتك اتصلت بأبويك الآن.. أليس كذلك؟

وافق جيرڤيه: «ولا بدّ أن أحدهم أبلغ الصحافة بالأمر».

كانت قد نسيت هذا للحظة: «أوه.. يا إلهي!».

لكنها تقبلت، دون تساؤل، أن حياة رئيس شركة ديڤلرز الشخصية، تهمّ الصحافة كثيراً.

ـ ماذا ستفعل؟

هز كتفيه: «سوف ندّعي أننا مخطوبان لفترة؟».

لكن بيقين هزت رأسها، وقالت:

ـ لن يكون هذا منصفاً لك أو لعائلتك.

فجأة اقشعرت، حين وضع ذراعه بخفة على كتفيها.

ـ وهل أنت قلقة على عائلتي بعد الطريقة التي عاملتك بها روزيلاند؟ ماذا عنك أنت صغيرتي بيقين؟ لقد كرست وقتك لرعاية والدك المسكين ولم تتح لك فرصة لتأمين مستقبلك المهني الذي كنت تحلمين به.

ـ كنت سأدرس المحاسبة.

صحيح أنها شعرت بالاطراء لمديحه لكنها تعجبت لاهتمامه بتفاصيل حياتها الصغيرة... وأضافت:

ـ لكنني أحببت أبي..

قالت هذا لئلا يظن جيرڤيه أنها بقيت في المنزل رغما عنها، لتعتني به.

قال بصراحة: «ولقد عوّض عليك أحسن تعويض. أليس كذلك؟».

قالت: «لم تفهم قصدي... الحب لا يقبل تعويضاً».

ـ أحسنت... لكن إهماله جعل امرأة مفترسة تدعي حق امتلاك ما هو لك شرعاً.

قالت بحزن: «لقد أفسدت كل شيء».

وجمدت.. فجأة أخذ جيرڤيه ينظر إليها بحنان.. ثم قال بهدوء:

ـ أعتقد، بيڤن بيمبرتون، أنك إحدى ألطف النساء اللواتي عرفتهن.

قال هذا وانحنى ليعانقها... تسارعت دقات قلبها وأحست بصعوبة في التنفس ما جعلها تصرّح بأن ذلك أعجبها.

وافترضت أن جيرڤيه نفسه ليس منيعاً ضدها فبعد ما تركها عاد ليعانقها ثانية وحينما توقف عن معانقتها أخيراً ظلت بين ذراعيه وكأنها لا تستطيع الابتعاد عنه.

لم تدرِ كيف ارتفعت ذراعاها لتلتفا حوله... وشعرت وهي تتعلق به بهذه القوة أنها لا تعرف نفسها أبداً.

لم تذكر أنها حركت ذراعيها ولكنها استخدمتهما لتمنعه من الابتعاد عنها ولو قليلاً.. وسحبت نفساً عميقاً وهي تعي إلى أين قد تقودها مشاعرها الخارجة عن إرادتها.

فجأة أحست بخجل غامر، خجل حتى تلك اللحظة كان غير معهود بالنسبة إليها.

شهقت: «لا أستطيع!».

دفعته بعيداً عنها بحركة مجنونة، وجلست. تصلّبت ملامح

وجهه وقال بخشونة:

ـ لا تستطيعين؟

وعرفت بيڤن أنها جعلته يعتقد أنها «تستطيع» ولم تلمه حين سأل بعدوانية:

ـ ولماذا لا تستطيعين؟

ـ أنا آسفة. أعرف أنني.. ضللتك... لكنني.. لا.. أستطيع.. لأنني.. لم.. أفعل هذا من قبل.

عرفت أنه عذر أقبح من ذنب... لكنها أملت ألا يضغط عليها. وأحست بالرعدة في هذا الموقف المحرج الذي لم تختبره حتى الآن.

سأل بقسوة، وكأنه لا يفهم ما تقول: «لم تفعلي هذا قط؟».

ثم أدركت أنه فهم.. فجأة تلاشت القسوة من صوته:

ـ لم تفعلي هذا من قبل.. أنت عذراء إذن، بيڤن؟

وبدا أنه يشك في هذا الواقع.. وأصبحت أنفاسه عميقة وكأنه يحتاج إلى هواء...

هزت بيڤن رأسها إيجاباً... وحاولت التخلص من هذا المأزق الحرج فعادت تتذكر موضوع نقاشهما قبل العناق.

خرج صوتها متهدجاً وهي تتلعثم قائلة:

ـ على.. على أي.. حال.. نحن.. لا نستطيع الادعاء أننا مخطوبان.

وبدا أن جيرڤيه تقبل إحجامها. وسأل: «ولمَ لا؟»

ـ لأن.. عائلتك ستغضب حين تفسخ الخطوبة.

كانت تحاول جاهدة أن تعود إلى أرض الواقع بعد التجربة التي حملتها إلى السماء السابعة... لكن مهمتها لم تكن سهلة.. فقد وضع جيرڤيه يده تحت ذقنها ورفع وجهها لتنظر إليه:

ـ لا داعي لفسخها... ولا داعي للادعاء حتى...

تشوشت أفكار بيڤن حتى لم تعد تدرك معنى ما تسمعه..

ونظرت إليه، بعينيها البنيتين الجميلتين الواسعتين.. كان في عينيه نظرة دافئة يخصها به... وأخذ قلبها ينبض بسرعة حتى كاد يقفز من صدرها... ولِمَ لا ينظر إليها هكذا؟ أما كانت منذ قليل في أحضانه؟.

بحثت في شتات أفكارها عن ردّ واقعي: «أوه.. أنت فقط تشفق علي».

بدا عليه الذهول للحظة ثم انفجر ضاحكاً... لكن ضحكته سرعان ما تلاشت ليقول بجفاء:

ـ وأنت لست مجردة من الإحساس!

لامته بحرية: «أنت السبب!».

ـ أنا المخطىء مرة أخرى؟

وارتفع حاجبه الأيمن. وأحست بيڤن بتورّد خدّيها.

حاولت أن تشرح:

ـ لا أحد من قبل استطاع... لم أكن أعرف أنني أستطيع أن أشعر..

وصمتت عاجزة، وأحبت جيرڤيه بقدر ما كانت معجبة به، حين سارع إلى مساعدتها.

سأل بلطف: «لقد أربكتك.. أليس كذلك؟».

قللت من أهمية ما يقول:

ـ قليلاً.

واحتاجت في تلك اللحظة، أكثر من أي وقت آخر في حياتها، أن تكون بمفردها.. وكانت ممتنة له مرة أخرى حين وقف، وسار متمهلاً نحو الباب.

وأحبته أكثر حين سأل، وكأنما يسعى إلى مساعدتها بتغيير

الموضوع.

ـ ماذا لدينا للعشاء؟

ـ ستيك وكبد.

وعرفت وهو يغلق الباب وراءه أن ما تشعر به صحيح.. إنها تحبه.. في الواقع، تحبه كثيراً.. وهذا الحب كان ينمو وينمو في داخلها، منذ وقعت عيناها عليه!

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ أرض الواقع

جلست بيڤن على حافة السرير تواجه واقعها الجديد. إنها تحبه... حباً حقيقياً لا خيال فيه... ولا دخل فيه لما أيقظه فيها من مشاعر لم تكن تعرفها قبله.. إنها تحبه حباً أكيداً جماً يسيطر على أفكارها وأحاسيسها وكيانها كله. لذلك رفضت عرض الزواج يوم الثلاثاء... فهي لا تريد طلباً عشوائياً... إنها تريد طلباً جاداً.

انتفضت تحاول الهروب من أفكارها وتذكرت أن عليها إعداد المائدة للعشاء... مع أنها تمنت ألا تراه الليلة...

ذهبت إلى الحمام تغسل يديها، وتسرّح شعرها... وسرّها أن ترى في المرآة أن ملامحها طبيعية لا تفضح حبّها لجيرڤيه... فهي لا تريد أن يعرف شيئاً من هذا... لا تريد أبداً أن يعرف حقيقة شعورها نحوه.

ذهبت إلى المطبخ مباشرة ولم تلتق جيرڤيه في طريقها إليه. لكنه ما لبث أن تبعها وشعره الأشقر مبلّل بعد الاستحمام.

تعالت حمرة الخجل إلى خدي بيڤن وهي تذكر كيف تشبثت به حين ضمها إليه... وكيف سمحت له أن يلامس أحاسيسها الدفينة ويكتشف ضعفها دون احتجاج.

بدا لها أنه لا يذكر شيئاً من هذا ولم يلاحظ تورّدها المفاجىء، بل كان طبيعي التصرف، لا بارداً ولا حاراً. سألها: «كم سيتأخر العشاء؟».

ـ نصف ساعة.

سُرّت لأنها استطاعت الإجابة بلهجة ثابتة.. وأكملت:

ـ سأناديك إن احتجت لمساعدتك!

قال محتجاً: «فليكن في قلبك رحمة! كنت أفكر بتحضير المائدة».

ـ لقد حضرتها.

تنفست الصعداء حين غادر المطبخ قبل أن يلاحظ ارتجافها وارتباكها لمجرد وقوفه قربها.

ساد العشاء هدوء ثقيل. بدا جيرڤيه شارد الفكر والواقع أنها هي أيضاً لم تكن ترغب بالكلام... قد تستطيع قريباً أن تتكيف مع ما اكتشفته حين كانت بين ذراعيه لكنها الآن لا تزال تحت وقع الصدمة.

أكلت بيڤن كل ما وضعته في صحنها مع أنها لا تشعر بالجوع. وبينما كانا يتناولان سلطة الفاكهة قال فجأة: «لا نستطيع تكذيب خبر الخطوبة بيڤن...».

ردت: «صحيح، أنت على حق!».

كانت تعرف أن جيرڤيه ليس من النوع الذي يقف مكتوف اليدين حتى تتلاشى المشكلة بطريقة ما. ويبدو أنه قرر حسم الموقف.

ـ أرى أن لدينا عدة خيارات. نستطيع، أو بالأحرى أستطيع أنا، أن أجعل الخطوبة لصالحي.

سألت بحذر: «حقاً؟».

أصغت بدقة وهو يشرح فكرته:

ـ تتشبث عائلتي بأية علاقة أقيمها مع أي امرأة. ولو أنكرت خطوبتي أمام الصحافة، سيعودون لممارسة الضغط علي.

قالت بيڤن بتعاسة: «يا له من مأزق!».

ـ إنه مأزق فعلاً.

ـ أتعني أنك تتوقع ألا تكتفي شقيقتك باقتحام جلسة هامة عليك،

بل أن يفعل والدك ذلك أيضاً؟

- قلت لك إنك ذكية.. فضلاً عن زيارة الشقة والمكالمات الهاتفية، والابتزاز العاطفي...

لم تتحمل بيڤن كل هذا: «كفى... كفى...».

وتنهدت، وهي تظهر الذكاء الذي وصفها به:

- هل تعني أنه من الأفضل أن نتظاهر بالخطوبة لفترة ما؟

- ستلهي هذه الخطوبة أهلي. لا أريد أن يلهيني شيء في هذه الفترة عن عملي. إني أخوض مفاوضات هامة مع شركة هندسية أخرى.

تمتمت، وقد عاد القلق ينتابها: «أوه.. جيرڤيه!».

أرادت أن تساعده.. فلن تتحمل أن يكون تحت أي ضغط، ليس في حياته العملية فحسب، بل في حياته الخاصة..

- وإلى متى ستدوم هذه الخطوبة المزعومة؟

هز كتفيه لكنه رد بصدق: «هل خمسة أشهر فترة طويلة؟».

- ألا تستطيع.. التلميح.. لعائلتك قبل هذا؟

- أستطيع.. لكن، بالرغم من أنهم لا يحتاجون مالاً إضافياً، سيعاودون مضايقتي في هذه الشقة وخارجها.

- لكنهم سيفعلون هذا على أي حال، حين يشعرون بأنك لا تستعد للزواج في نهاية هذه الفترة!

فكر لحظات، ثم قال مقترحاً:

- ما رأيك أن نبقى مخطوبين إلى حين الانتهاء من شراء الشركة الأخرى؟

لم تكن بيڤن تعرف كم سيتطلب ذلك من وقت. لكن حبها له جعلها توافق على أي شيء يطلبه منها.

لذلك ردت بهدوء وثقة: «حتى ذلك الوقت إذن».

بدا عليه الارتياح الشديد:

- شكراً بيڤن... سأكافئك على هذا الرد بغسل الصحون بنفسي.

- هذا من اختصاصي.. اذهب أنت للعمل على الدراسات التي تحتاجها.

تذمر جيرڤيه بمرح:

- يا إلهي! الرجل الذي سيحظى بك في النهاية يجب أن يراقب خطواته!

وضحكت بيڤن.

فكرت بيڤن وهي تراه يسير إلى مكتبه، أن جيرڤيه يبدو الآن أقل تجهماً، وهي أيضاً لم تعد تشعر بالتوتر الذي سبق العشاء... فقد أثلج صدرها بتعليقه عن حسن حظ من سيخطبها في النهاية.

ولم تره مرة أخرى تلك الليلة.. أكملت غسل الصحون وأعدت بعض الفطائر لتضعها في الثلاجة وعندما انتهت دخلت إلى الغرفة لتنام.

عندما أغمضت بيڤن عينيها كان جيرڤيه يحتل أفكارها وكذلك عندما فتحتهما في صباح اليوم التالي.. هل صحيح أنها لا تعرفه إلا منذ أسبوع؟ أمر لا يصدق.. لكن كم يلزم الإنسان من وقت ليقع في الحب؟

تنبهت بيڤن إلى أنها استرسلت في النوم وتأخرت... وتساءلت عما إذا كان جيرڤيه قد غط في نومه كذلك، وأصغت لتسمع إن كان يتحرك في المنزل. لكن الشقة كانت ساكنة.

رفعت عنها الأغطية وذهبت لتدق باب غرفة جيرڤيه لتوقظه.. لكنها اتجهت تلقائياً إلى المطبخ أولاً، لتكتشف أن جيرڤيه قد استيقظ وخرج من البيت. كان إبريق الشاي بارداً، لكن إبريق القهوة ما يزال دافئاً.

عادت بيڤن ببطء إلى غرفتها وهي تشعر بسعادة غريبة لوجودها هنا وأبعدت أفكارها عن مثل هذا التشوق الخوّان...

وذهبت لتستحم.. كانت تفكر في ما ستعده للعشاء حين تذكرت

أن اليوم هو الجمعة وأن السيدة أندرهيل ستحضر لتنظيف المنزل.

استحمت بيڤن ثم سارعت ترتدي ملابسها... ربما نسي جيرڤيه أن يخبر السيدة أندرهيل أنه يستضيف أحداً في منزله وهي لا تريد أن تدخل لتجدها في هذا الوضع.

لم تكن تعرف موعد حضورها، لذلك شغلت نفسها بترتيب غرفتها. وفي التاسعة والنصف، حين رن جرس الباب توقعت أن تكون هي. وقدرت أن جيرڤيه أطلعها بلا شك على وجودها في المنزل وإلا لِمَ لم تستخدم المفتاح لتدخل...

كانت بيڤن على وشك أن تفتح الباب حين توقفت فجأة. خطر ببالها أن الطارق قد لا يكون السيدة أندرهيل! ورن الجرس مجدداً، ليذكرها أنها لن تستطيع الوقوف هكذا طوال النهار لتقرر ماذا ستفعل.

فكرت في جيرڤيه، وكيف أصبحت خطيبته.. وقررت لحظتئذٍ أن تواجه. وأدارت المقبض، وسحبت الباب إلى الوراء.. لتصاب بصدمة عنيفة!

المرأة التي كانت تقف هناك، وتستعد للضغط على الجرس للمرة الثالثة، لم تكن سوى أيرين.. زوجة أبيها.. لم تستطع أو تصدق عينيها!

قالت بصوت ناعق منتصر: «عرفت أنني سأجدك هنا!»

ـ وهل كنت تبحثين عني؟

ولم تستطع أن تنق بابتسامة أيرين للحظة. لكنها تساءلت عمّا تفعله هنا.

ـ قلقت عليك بالطبع.

وحدقت بيڤن بها بذهول: «أنت.. كنت قلقة عليّ؟».

تابعت أيرين الابتسام:

ـ طبعاً! كنت مصابة بزكام فظيع في آخر مرة رأيتك فيها.

عرفت كيف استطاعت تلك المرأة أن توقع بأبيها.

ـ ألن تدعيني للدخول؟

قررت بيڤن أن أيرين لن تدخل هذا المنزل ولو على جثتها.

تابعت ايرين الضغط: «أنا لم أقابل خطيبك من قبل.. لكنني واثقة..».

ـ آه!

ودقت أجراس الإنذار في رأس بيڤن وهي تتسمر في مكانها، وصممت ألا تدع هذه المرأة تجتاز عتبة باب جيرڤيه.. فرغم أنها ترى الآن الجانب الذي أعجب به أبوها، إلا أنها كانت تعرف الوجه الآخر... الوجه الحقيقي.

قالت أيرين: «لقد وقعت على كنزٍ حقيقي عزيزتي!».

قاطعتها بيڤن: «كيف عرفت مكاني؟».

ردت بلهجة لاذعة:

ـ لم يكن الأمر صعباً! لم يكن هناك صورة لك في الصحيفة، أو أي شيء كهذا.. لكنني قرأت أن السيد جيرڤيه ديڤلرز.. السيد جيرڤيه ديڤلرز عينه صاحب الشركة الهندسية الكبرى، سيتزوج بعد وقت قصير من الآنسة بيڤن بيمبرتون. عرفت فوراً أين أنت... أنت ماكرة حقاً... فأنا لم أكن أعلم أنك على علاقة به!

قاطعتها بيڤن بحدة: «لماذا جئت؟».

ـ لأهنئك طبعاً. يا الله.. بيڤن. أنا زوجة أبيك، وسرعان ما سأصبح بحكم حماة السيد ديڤلرز..

ظهر وميض الجشع في عينيها فجأة، فعرفت بيڤن في الحال لماذا جاءت.

قاطعتها قبل أن تتابع كلامها:

ـ المال! جئت إلى هنا آملة أن تحصلي على شيء من المال؟

صاحت أيرين: «أيجب أن تكوني «سوقية» هكذا؟».

ردت بيڤن: «سوقية أم لا.. ليس لدي مال».

ـ ويحك من الكذب! السيد ديڤلرز فاحش الثراء!

وكشفت بهذا المزيد من حقيقة أفكارها:

ـ إن هذه الشقة بمفردها كلفته مبلغاً طائلاً! وأنت تعيشين في الترف.. بينما أنا..

قاطعتها بيڤن مجدداً، وقد اتخذت قرارها دون تفكير:

ـ في الواقع.. سأعود إلى المنزل اليوم.

ـ ستعودين؟

ـ هذا ما قلته.

ـ حسن جداً.. من الطبيعي أن ترغبي في الخروج عروساً من بيت والدك.

استعادت أيرين رباطة جأشها لتبتسم بزيف مرة أخرى، وبدا واضحاً أنها لم تكن على استعداد للانصراف بعد. لكن بيڤن أرادت إبعاد هذه المرأة عن هذا المكان، الذي عرفت فيه، ولو لوقت قصير معنى السعادة.. وقالت: «سأراك هناك».

وودعتها وأقفلت الباب.. وعرفت أن أيرين أفسدت عليها إقامتها في منزلها في آبوت تشيني، وها هي تجعلها تقرر ألا تبقى في شقة جيرڤيه حتى يوم الأحد كما وعدته.

كيف يمكن لها أن تبقى يومين إضافيين الآن؟ لن تستطيع ذلك وأيرين تعرف مكانها. إنها قادرة على أي شيء. ولا سبيل لمعرفة ما يمكن لهذه المرأة أن تفعله لتصل إلى مآربها، وهذا يعني أن عليها مغادرة شقة جيرڤيه دون تفكير.

فكرت للحظات حزينة، أن تترك له وجبة طعام جاهزة يضعها في المايكروويف حين يعود. ثم تذكرت أن السيدة أندرهيل قد تصل في أي وقت.. وستحضر له وجبة تتركها له لذلك المساء.

لم يلزم بيڤن الكثير من الوقت لتجمع أشياءها. وبعد خمس دقائق، كانت مستعدة لترك الشقة.. سيعلم جيرڤيه أنها عادت إلى منزلها، حين يعود ولا يجدها. لكن، لم يبدُ لها من اللائق المغادرة دون ترك رسالة، بعد المعاملة اللطيفة التي لقيتها معه.

دخلت بيڤن إلى مكتبته لتجد قلماً وورقة.. لم تعرف ما عليها أن تكتب. كانت تريد أن تشكر جيرڤيه على استضافتها والعناية بها، أرادت أن تشرح له كل شيء عن زيارة أيرين.. وكيف أنها مرة أخرى، أفسدت عليها الأمور، وكيف أنها بسبب الجشع الذي رأته في عيني زوجة أبيها، كان عليها أن تغادر. لكن بيڤن بدأت تخشى من أن يؤدي أي شيء تكتبه، إلى الكشف ولو قليلاً عما تشعر به في قرارة قلبها نحوه. وهكذا، كتبت في النهاية «عزيزي جيرڤيه لقد زارتني زوجة أبي هنا.. الأمور تتعقد كثيراً، شكراً على كل ما فعلته لأجلي... بيڤن» ودست الرسالة في مغلف، وتركتها على منضدته، حيث يراها.. وبسرعة، غادرت الشقة.

كانت المنطقة جديدة عليها، ومع ذلك لم يطل بها الوقت لتعرف في أي اتجاه تسير.. لكن وهي تتجه إلى وسط البلدة، تمنت مع كل خطوة لو أنها لم تكن مجبرة على الرحيل.

حاولت أن تنظر إلى الجانب المشرق، لكن حتى وصلت إلى محطة ديرهام، واستقلت باصاً متجهاً إلى آبوت تشيني، لم تجد شيئاً مشرقاً تفكر فيه... بل على العكس...

فكرت والباص ينطلق أن لا ضرورة لمقابلة جيرڤيه مرة أخرى. ولا داعي طبعاً لأي لقاء ليستمر في ادعاء الخطوبة... لديه الآن حجة تبعد عائلته عنه... لا بد أنه سيشعر الآن بحرية ليخرج مع من يختار من النساء الجميلات اللواتي يتحلقن حوله.

وفجأة أحست بالغيرة تنهشها.. يا له من شعور لا عهد لها به!

حين بلغت المنزل، كانت صورة واحدة تسيطر على أفكارها. فكرة

أن يأخذ جيرڤيه الهاتف ليضرب موعداً على العشاء مع إحدى نسائه.

تنهدت وهي تسير في طريق الحديقة الداخلية التي تفضي إلى المنزل.. وحضرت نفسها للتعامل مع أي مزاج قد تكون أيرين فيه.. لكن أيرين لم تكن في الطابق الأرضي. نظرت من حولها لترى أن المنزل الذي كان يوماً رائعاً، أصبح كصفيحة القمامة.. وصعدت إلى غرفتها لتغير ثيابها.

توقعت أن تكون أيرين قد عادت إلى المنزل لتنام مجدداً، وهي التي استيقظت باكراً لتذهب إليها على غير عادة. لكن، مع مرور بيڤن بغرفة النوم الرئيسية التي عمّتها الفوضى، رأت أن أيرين ليست هناك كذلك.

بعد ربع ساعة، كانت بيڤن تجهد نفسها بالعمل لإعادة المنزل إلى ما كان عليه من نظافة وترتيب. وفي الثالثة تماماً توقفت أمام الباب سيارة أجرة وخرجت أيرين منها.

قالت وهي تدخل: «لم أتوقع عودتك بهذه السرعة».

عرفت بيڤن أنها تحاول أن تقرر ما إذا كان من مصلحتها أن تكون لطيفة مع بيڤن أم لا. ويبدو أنها قررت أن تكون لطيفة في الوقت الراهن.

ـ لقد تناولت الغداء في الخارج.. من الطبيعي أن تكوني قد ناقشت أمر عودتك إلى هنا مع خطيبك.

ـ طبعاً.

ـ إذن، قد تتوقعين زيارته لك هنا.

ردت كاذبة: «ربما».

ابتعدت عن طريق أيرين، لتصعد وتنظف الحمام.. كانت تعرف أن جيرڤيه يجهل عنوانها، ولا يعلم أنها تعيش في آبوت تشيني.

راجعت بيڤن كل حديث دار بينها وبين جيرڤيه.. لكنها لم تذكر أنها أخبرته عن عنوانها. كما تذكرت أن والدها كان يرفض تسجيل رقم هاتفه في الدليل... وهكذا ما من سبيل لأن يعرف جيرڤيه عنوانها أو رقم هاتفها.

وخفق قلبها بشدة حين تذكرت أنه يستطيع أن يجد عنوانها ورقم هاتفها في أوراق البحث التسويقي في الملف الذي نسيته في الشقة. لكن سرعان ما حكّمت عقلها وقالت في نفسها إنه لن يحاول الاتصال بها. ولماذا يتصل؟ لقد أمّنت له الغطاء الذي يريده للإفلات من مضايقات العائلة... ولن يجد مشكلة في التعامل مع أية مشكلة أخرى.

حاولت أن تقنع نفسها بأن لا شيء يغير هذا الواقع حتى لو كانت في قرارة نفسها ترغب بجنون في رؤيته وفي سماع صوته مجدداً. لذلك، كادت بيڤن تقفز رعباً حين عادت إلى غرفة الجلوس بعد ساعة تقريباً، ورن جرس الهاتف وهي تمر قربه.

انتصبت أيرين كالبوم من الطرف الآخر من الغرفة وهي تجلس على الكرسي الهزاز.

ـ لا بد أن هذا خطيبك.

لم تستطع منع قلبها عن الخفقان، لكنها رفعت سماعة الهاتف بهدوء وقالت آلو... وعلى الفور وبّخت نفسها لأنها تأثرت بتعليقات أيرين..

قال أوليڤر تايلور بلهجة لاذعة: «أعتقد أن التهنئة واجبة؟».

ـ أوه.. مرحباً أوليڤر.. ظننتك في زيارة لأحد حتى يوم السبت.

ـ عدت باكراً.. وما هذا الكلام عن خطوبتك؟

ـ أوه.. وهل.. قرأت الخبر؟

ـ لم أكن بحاجة لأن أقرأ شيئاً.. فالخبر منتشر في كل القرية، بفضل السيدة بيمبرتون!

أوه.. يا الله! هذا ما لم تفكر فيه بيڤن.. لكن أوليڤر كان ينتظر رداً ما ولم يكن لديها ما تقوله.

ـ وهل ذهبت.. إلى عملك؟

سأل: «وهل هذا كل ما استطعت قوله؟».

اعتذرت: «أنا.. آسفة أوليڤر.. ليس..».

www.elromancia.com

وصمتت، وهي لا تكاد تعرف كيف تكمل، لكنه سرعان ما فسّر ترددها:

ـ السيدة بيمبرتون تستمع.. أليس كذلك؟

ردت: «أجل».

ـ حسن جداً.. يجب أن نتكلم.. أعتقد أنك موافقة على أنك مدينة لي بتفسير.

وافقته بيڤن الرأي نظراً لما أبداه من لطف وإنسانية معها ومع والدها.

ـ أجل.

مرت ثوانٍ لم يقل فيها أحدهما شيئاً، ثم قال أوليڤر:

ـ سنتحدث بحرية أكبر خارج المنزل. ما رأيك بتناول الطعام معي؟

ـ متى؟

ـ الليلة، إذا لم يكن لديك مانفعلينه. سآتي لأصطحبك بعد السادسة بقليل، وسنخرج من القرية إلى ديرهام.

ستكون حرة كل ليلة، وليس الليلة فقط... لكن التفكير في أن جيرڤيه قد يتواعد مع أنثى فاتنة هذا المساء بالذات، جعل من الغيرة دافعاً قوياً للقبول بعرض أوليڤر.

ـ إلى اللقاء في الساعة السادسة إذاً.

أقفلت السماعة لتواجه توبيخ أيرين:

ـ هل ستحافظين على صداقتك لأوليڤر تايلور؟

ـ سأخرج لتناول العشاء معه الليلة.

صاحت أيرين: «لن تفعلي! هل جننت؟! كيف يمكن أن تفكري بالعبث مع شحّاذ فقير مثله، وأنت مخطوبة إلى رجل يستطيع أن يمنحك كل شيء؟».

صعدت بيڤن لتستحم وترتدي ثيابها... لقد كان أوليڤر فقيراً

بالمقارنة مع جيرڤيه... لكن ذلك لا يشكل أي فارق عندها... إنها لا تحبه وهذا كل ما في الأمر. فتحت الماء تغرق فيه أفكارها عن الذي استولى على عقلها وقلبها.

وعندما خرجت من غرفتها ونزلت إلى غرفة الجلوس عادت أيرين تصرخ:

ـ لا تظني أنني سأستر عليك حين يأتي خطيبك ليقرع بابي.

وأحست بيڤن بالراحة وفيما كانت خارجة عرفت أن عليها أن تجد لنفسها مسكناً آخر للتخلص من زوجة أبيها. حين بلغت طرف الحديقة، وصل أوليڤر وفتح لها باب السيارة. وسألها وهو ينطلق: «كيف حالك؟».

ـ بخير.

وتوقف الحديث عند هذا الحد إذ لم تجد ما تكلّمه به. ثم تذكرت:

ـ كيف حال أمك؟

ـ بخير.

ولأنها لم تخرج من قبل مع أوليڤر، فكرت بيڤن، وهي خجلة من هذا الإحساس، أنها لن تضطر لتكرار التجربة.

أخذها أوليڤر إلى مطعم جميل في ديرهام، حيث الطعام جيد.. لكن، رغم من روعة المكان، فإن أوليڤر لم يكن جيرڤيه.. وهي لا تريد أن تكون حيث هي الآن.. بل مع الرجل الذي تحب.

مع ذلك قامت بما في وسعها لتجاريه في الحديث.. فليس ذنبه إن كان جيرڤيه قادراً على أن يجعل الحديث عن الغبار مثيراً للاهتمام، بينما هو يجعل أكثر المواضيع إثارة كئيبة مملة.. قالت:

ـ هذا المطعم ممتاز!

وراحت تُسائل نفسها: «هل كان هذا الوضع مختلفاً لو لم أقابل جيرڤيه؟... هل حوّل كل الرجال في نظرها إلى سخفاء مملّين؟».. ثم

تذكرت حين طلب أوليفر يدها وعرفت على الفور أنها لن تتزوجه أبداً. . وكان هذا قبل معرفتها بجيرڤيه. . جعلها التوتر الواضح على وجه أوليفر تكف عن التفكير. وعلمت أنه سيخبرها لماذا طلب التحدث إليها بعيداً عن المنزل.

فجأة سأل أوليفر: «أين التقيت به؟».

ـ وهل هذا مهم؟

ـ لا. . أبداً، في الواقع. أنا مهتم أكثر بنا نحن لا به هو.

ـ أوليفر. .

أرادت أن تقول له إنها لم تفكر يوماً بأن يرتبط مصيره بمصيرها، لكنه سبقها بالسؤال: «أنت لا تضعين خاتم خطوبة!».

بدأت: «لم يكن هناك وقت. .».

أحست بالرهبة الشديدة لاضطرارها للكذب. لكن، أليس ذلك أفضل من الاعتراف بالحقيقة، ما دامت لا تنوي تشجيع أوليفر؟

بدا من الواضح أن أوليفر لا يهتم إلا بنفسه، عندما سأل:

ـ لكن ماذا عنا نحن؟ ظننتك ستفكرين في أمرنا، نحن. هل فكرت في عرض الزواج الذي قدمته لك؟

لا تذكر بيڤن أبداً أنها وعدته بالتفكير في هذا الموضوع. ولئلا تجرح مشاعره، جلست صامتة.

لكن حين سأل: «ألا تشعرين بشيء نحوي؟».

عرفت بيڤن أنها إن بقيت صامتة ستؤلمه أكثر: «طبعاً. . أشعر بشيء نحوك».

لكن، حين تغيرت تعابير وجهه إلى الأمل، لم يعد أمامها سوى قول الحقيقة:

ـ لكنني أحب جيرڤيه ديڤلرز.

أعجبت بيڤن بشخصية أوليفر حين تلقى الصدمة بثبات. . وقال:

ـ هذا يعني أنك لن تتزوجي بي؟

ردت بتعاسة: «أنا آسفة أوليفر».

بدا أن لا شيء يقال بعد هذا. . وكانت رحلة العودة إلى آبي تشيني صامتة كما كانت رحلة الذهاب إلى ديرهام. . لكن، هذه المرة، أوقف أوليفر السيارة أمام منزلها وخرج يرافقها إلى بوابة الحديقة.

كانت ليلة مظلمة، لكن على ضوء مصباح الشارع، عرفت أنه يشعر بالاكتئاب الشديد. وقال بهدوء: «وداعاً بيڤن».

عرفت من كلمة «وداعاً» هذه، أنها إذا لم تقصد الصيدلية، فهي لن تراه بعد اليوم.

ـ وداعاً أوليفر.

ووقفت هادئة، حين وضع ذراعيه حولها لأول مرة، ليضمها إليه. ثم سار بسرعة إلى السيارة، أما هي فشرعت تفتح بوابة الحديقة. . وحين ابتعد في طريقه حاولت أن تتغلب على حزنها وهي تفكر كم كان لطيفاً معها ومع والدها. . لكن، فجأة، أحست بذراع تمسك بها قبل أن تسمع وقع خطوات.

أفلتت منها صيحة ذعر قبل أن ينقلب ذعرها إلى فرح، فرح رائع. . فعلى وهج مصباح الشارع ذاته، تعرفت إلى الرجل الذي أمسك بها. . كان طويلاً، أشقر الشعر. . . رجلاً ظنّته على موعد عشاء مع فتاة فاتنة تلك الليلة.

أخفت بيڤن بسرعة ما شعرت به من فرح. . . وقد دلّت تعابير وجه جيرڤيه أنه لم يتأثر بفرحها. بل الواقع، أنه كان غاضباً جداً لسبب تجهله. كان يضغط على ذراعها حتى كادت لا تشعر بها.

قال وهو يعيد كلمات رسالتها بسخرية: «أصبح الأمر معقداً جداً».

ثم تابع يسأل بقسوة: «من هذا، بحق الله؟».

* * *

٧ ـ خطوات نحو اللهب

لم تصدق بيڤن ما سمعته أذناها، وبدا لها أن لجيرڤيه الحق بأن يعرف من هو أوليڤر. كانت تعرف في قرارة نفسها أن هذا التفكير سيجعل ادعاء الخطوبة مبالغاً فيه. كانت تشعر أن رؤية جيرڤيه مجدداً أضعفتها، وعرفت أن عليها أن تتماسك وإلا انهارت.

صاحت بكل ما أوتيت من معنويات:

ـ كيف عرفت أين أعيش؟

ـ لم تكن المهمة صعبة جداً، أنسيت أنك تركت ملفك في سيارتي؟

لكنه كان ينتظر جواباً على سؤاله الآخر. فقد أمسك بذراعها وراح يهزها بعنف: «من هو؟».

ردت ساخطة:

ـ ولو أن الأمر لا يعنيك.. إلا أن أوليڤر صديق.. ثم أنت تؤلمني!

ترك جيرڤيه ذراعها، لكن عدوانيته لم تخف وهو يجأر:

ـ يعانقك بهذه الحرارة وتقولين إنه مجرد صديق!

رفعت بيڤن ذقنها قليلاً بغضب، وسألت وهي تشعر بالغضب من جيرڤيه ومن نفسها، لأنها لا تريد جدالاً معه كما أنها لا تملك قوة أمام تلميحاته الجارحة.

ـ ما الذي تعنيه؟

ـ ماذا أعني...

صمت قليلاً ثم تابع بسخرية:

ـ أيتها العذراء الصغيرة؟

هل يظنها مفتونة بأوليڤر إلى حد تخطي كل الحدود؟ هذا ما كانت بيڤن تفكر فيه عندما سألها:

ـ هل أخبرته عن خطوبتنا؟

صاحت: «لسنا مخطوبين حقاً!».

تعرف بيڤن موهبة آل ديڤلرز في إحراجها. ولم يكن هذا يعجبها.

قال بحدة: «زوجة أبيك تصدق أننا مخطوبان».

فجأة فقدت رباطة جأشها. وسألت بهدوء:

ـ وهل تكلمت مع أيرين؟

ـ لقد جئت باكراً.. دعتني لأدخل. لكن، كان لدي عمل آخر أهتم به..

قالت بنعومة: «أوه جيرڤيه.. أجئت لترى ما إذا كنت بخير؟».

ـ بعد رعايتي الممتازة لك.. ألا يمكن أن ألاحقك بزيارة؟

وبدا صوته مرحاً في العتمة.. لكن سرعان ما عاد يسألها باضطراب:

ـ هل أنت بخير هنا بيڤن؟

أرادت أن تقول لا.. لا لست بخير.. أريد أن أكون معك. لكنها بقيت على موقفها وابتسمت. ولأنها كانت تتشوق إلى وضع رأسها على صدره، والتوسل إليه أن يأخذها معه، تراجعت خطوة إلى الوراء.. وتمنت لو أنها لم تفعل لأنها أدركت أن جيرڤيه لاحظ حركتها، وأمسك كتفيها، وطبع قبلة خفيفة على جبينها قبل أن ينطلق مبتعداً... راقبته بيڤن وهي تتلمس بأصابعها مكان القبلة!

سارت بسرعة في ممر حديقتها، ومشاعرها خارجة عن سيطرتها..

وكل ما استطاعت أن تفعله هو الامتناع عن البكاء المرير. . . ولحسن الحظ، أن أيرين رفعت صوت التلفزيون، بحيث تمكنت بيڤن من التسلل إلى غرفتها دون أن تتحدث إليها.

كان في داخلها صوت يصرخ: أوه جيرڤيه، جيرڤيه، جيرڤيه! وسارعت تستحم بسرعة قياسية، وسرعان ما دخلت الفراش وشدت الغطاء فوق رأسها. . لن تراه مجدداً.

لم تنم جيداً تلك الليلة. بدت زيارته نهائية وبدا لها أن الأمر انتهى فعلاً. كانت تعرف أن هذا سيحصل.

استلقت في الظلام لساعات تتساءل إن أتى جيرڤيه إلى القرية لإنجاز عمل ما وقرر زيارتها. وحين وصل إلى منزلها لمحها تخرج من سيارة أوليڤر.

غضبه لرؤيتها بين ذراعي أوليڤر، كان أمراً منطقياً أيضاً. . فهي لم تخبر جيرڤيه بأن في حياتها رجلاً. . لأن لا وجود لأي رجل في حياتها فعلاً. . ربما كان جيرڤيه يريد هذه الخطوبة كتغطية لكنه لا يريدها أن تعترف بزيفها لأحد! ما لم يكن يعرفه جيرڤيه هو أنها المرة الوحيدة التي عانقها أوليڤر بها.

كانت لا تزال مضطربة حين بزغ الفجر، وحان وقت النهوض. استحمت وارتدت ثيابها، ثم نزلت لتعد لنفسها إبريق شاي. . ووقفت تشربه قرب النافذة تنظر إلى طقس شهر شباط. . وأسعدها أن ترى الطقس صافياً مشمساً.

استيقظت أيرين، حوالى الساعة الحادية عشرة، وكانت في مزاج بغيض: «زارنا خطيبك ليلة أمس».

كادت بيڤن تقول لها إنها تعرف هذا، وإنها رأت جيرڤيه. . لكن ذلك الوميض الجشع في عينيها جعلها تحجم عن الكلام عن جيرڤيه مع تلك المرأة.

لذلك تمتمت بأدب: «حقاً؟».

ـ نعم. . حقاً! أقل ما يمكن أن تفعليه هو أن تشكريني لأنني كذبت من أجلك!

ـ كذبت لأجلي؟

ـ قلت له إنك ذهبت إلى ديرهام لزيارة صديق عجوز.

قالت بيڤن بهدوء: «شكراً لك».

لكن أيرين أرادت شكراً أكبر من هذا:

ـ أستطيع متى شئت أن أقول له، إن ذلك الصديق العجوز، ليس كبيراً جداً في السن، وإنك لم تذهبي لرؤيته. . بل جاء إلى هنا ليأخذك بناء على موعد مسبق!

قرأت بيڤن بين كلمات أيرين تهديداً شريراً ومحاولة ابتزاز ما جعلها تشعر بالغثيان. ودافعت بهدوء: «صحيح».

وأحست أنها بحاجة إلى هواء نقي، فخرجت لتعمل في الحديقة.

مر يوما السبت والأحد ببطء شديد. وحين عجزت بيڤن عن البقاء يوم الأحد تحت سقف واحد مع أيرين، خرجت في نزهة طويلة سيراً على قدميها.

حلّ يوم الإثنين حاملاً معه إحباطاً شديداً لبيڤن. ظنت للوهلة الأولى أنها انتكاسة الانفلونزا، لكن سرعان ما اكتشفت أن داءها نفسي. عياؤها هذا سببه الحب ورغبتها في أن ترى جيرڤيه. لكن احتمال أن تراه تماماً كاحتمال أن تغادر أيرين المنزل إلى غير رجعة.

حاولت بيڤن يوم الثلاثاء أن تتماسك. . ما تحتاج إليه هو العمل. . وأخذت تفتش في الصحيفة، لكنها لم تجد شيئاً يتناسب ومؤهلاتها البسيطة. . . أخرجت حقيبة أوراقها لتكتب طلبي عمل. دخلت أيرين غرفتها ووقفت تنظر إلى الحقيبة في يدها.

ـ إذا أردت المساعدة في كتابة اتفاقية الزواج، وتحديد يوم العرس. .

أستطيع . .

قاطعتها بيڤن برعب : «اتفاقية زواج؟» .

ـ يجب أن تهتمي بمصلحتك . أنا أفكر فيك!

ومنذ متى لم تستطع بيڤن أن تصدق هذا!

أخذت دفتر الرسائل إلى غرفتها وكتبت الطلبين هناك . . ولم تعد إلى الأسفل حتى سمعت أيرين تخرج . . دخلت إلى غرفة الجلوس وأخذت دليل الهاتف تبحث عن سمسار شقق . وراحت تتصل في محاولة للعثور على مكان تسكن فيه .

سرعان ما اكتشفت أنَّ الإيجارات باهظة وقد تستنفد ما لديها من مال ، إن هي استأجرت شقة قبل أن تجد عملاً . وكانت تتساءل عما إذا كانت إيجارات الشقق في بلدة إلينغتون أرخص ، حين ارتفع رنين الهاتف . نادراً ما كان الهاتف يرنّ لذلك توقعت أن يكون رقماً خاطئاً .

ـ آلو؟

سمعت جيرڤيه يقول : «كيف حال مريضتي المفضَّلة؟» .

ردت تحت وقع الصدمة :

ـ بفضل العناية الصحية الممتازة ، أعتقد أنني سأنجو!

سأل ، وكأنه متأكد من العكس :

ـ وهل تأكلين جيداً؟

ردت بعد لحظة تردد : «طبعاً» .

ـ وهذا يعني : بالطبع لا . . لست أدري ، بيڤن الصغيرة ، ماذا سأفعل بك؟

خذني لأعيش معك . . لكنها لم تقل له هذا بالتأكيد . . . ولم تستطع الرد ، لأنه فجأة اتخذ قراراً ، بشأن ما سيفعله بها ، وبقلة طعامها :

ـ هل تحبين تناول العشاء معي؟

كانت تعرف أن عليها أن تقول لا . لكنها سألت :

ـ . . أوه . . متى؟

وتمنت لو لم يبدُ صوتها ملهوفاً هكذا .

ـ دعيني أرى . . .

علمت أنه يراجع مفكرته ، وأنه لم يتصل بها ليطلب منها الخروج معه إلى العشاء .

ـ ما رأيك بالغد؟

سقطت كل ادعاءاتها حين علمت أنها ستراه بعد أربع وعشرين ساعة .

ـ سأتطلع بشوق إلى الغد .

ـ سأصطحبك لآخذك في السابعة والنصف .

وأنهى المكالمة .

ظلت بيڤن مسرورة طوال نصف ساعة وتبخرت منها كل مشاعر الاكتئاب . . . سترى جيرڤيه غداً . ستراه غداً . . ولا أهمية لأي شيء آخر!

لكنها أدركت أن ما يهم ، هو أن تعود إلى واقعها . ليس لديها ما ترتديه . . والوقت متأخر جداً على الذهاب إلى ديرهام الآن . . . ستكون المحلات مقفلة . لكنها تستقلّ الباص في الصباح الباكر وتذهب إلى ديرهام لشراء بعض الثياب ، رغم علمها بأن رصيدها الضئيل لا يسمح بهذا النوع من التبذير .

وفي السابعة والربع من مساء اليوم التالي ، كانت بيڤن قد غسلت شعرها ومشطته إلى أن أخذ يلمع ، ونزلت إلى الطابق الأسفل تنتظر جيرڤيه . . صاحت أيرين بدهشة :

ـ يا إلهي كم أنت أنيقة! هل هذا فستان جديد؟

ردت بيڤن : «أجل» .

لم تهتم مطلقاً برأي أيرين بما اشترته ذلك الصباح . . . فستان طويل

www.elromancia.com

من الصوف، بلون القهوة، مزين من ياقته إلى أسفله بأزرار جميلة... له سترة مناسبة، لم تشترِ قطّ شيئاً بمثل هذه الأناقة. أحست أنها جميلة وهي ترتديه، وكانت تعرف دون غرور، أنه يناسبها.

سألت أيرين: «من سيكون الليلة.. خطيبك أم الصيدلي؟».

ردت: «جيرڤيه».

وعرفت أنها في لهفتها لتراه، نزلت باكراً:

ـ أعذريني.. لقد نسيت شيئاً.

وعادت تصعد إلى غرفتها، لتمشط شعرها مجدداً، ولتقنع نفسها بأنها تبدو جميلة.

رأت سيارة جيرڤيه من نافذتها، فهرعت إلى الطابق الأسفل ما أن دخل ممر الحديقة، ثم رن جرس الباب.. قررت أن تودع أيرين وتخرج لكن هذه الأخيرة تحركت كالبرق لتفتح الباب، وكأنما لتؤكد أن هذا «منزلها».

قالت بصوت رنّان: «سيد ديڤلرز!».

حياها بلباقة:

ـ مساء الخير سيدة بيمبرتون.

وابتسم لبيڤن وقال بصوت رقيق: «مرحباً حبيبتي».

مع أن بيڤن تعرف أنه لم يقل هذه الكلمة إلا لأن أيرين حاضرة معهما، إلا أن ركبتيها ضعفتا فجأة. وردت بهدوء: «مرحباً».

وتجاوزت أيرين، وهي تشعر بوهن داخلي لا يقتصر على ساقيها.. ثم رأته يقترب منها ويعانقها.

دفعها صوت أيرين المزعج للعودة إلى أرض الواقع: «تمتعا بوقتكما!».

وتمتمت: «شكراً لك».

ودع جيرڤيه أيرين، وسارت بيڤن معه عبر الممر، وهي تفكر أن هذا

المساء، هو أسعد أمسية في حياتها.

أقفل جيرڤيه بوابة الحديقة.. ثم ذهب ليفتح لها باب السيارة.. رفعت بيڤن نظرها إليه، مشتاقة لرؤيته.. لكن، أمام النظرة الجادة في عينيه الرماديتين الزرقاوين، بدأ قلبها يخفق بشكل غريب.

ثم تحرك فمه فجأة في شبه ابتسامة.. وقال معلقاً: «تعرفين بالتأكيد.. أنك جميلة».

هذا ما كانت تحتاج لسماعه.. ليس أنها جميلة، بل أن يجدها جيرڤيه جميلة.

ـ شكراً لك.

ودخلت بأناقة إلى سيارته. انتظرها إلى أن جلست ثم أقفل الباب.

هي لا تعرفه منذ مدة طويلة، ومع ذلك كانا ينسجمان بسهولة، ويتحدثان بكل شيء وأي شيء كأنهما صديقان قديمان.. قاد جيرڤيه السيارة في طريق مختلفة نحو ديرهام. ودخل البلدة من الجهة الشمالية.. ثم توقف أمام أفخم فندق في البلدة.

أحست بيڤن وكأنها تطير في الهواء حين رافقها إلى الداخل، وأخذها إلى غرفة انتظار، جلسا فيها على أريكة، جنباً إلى جنب، يتحدثان إلى أن أحضرت لهما لائحة طعام.

إن خبرتها في تناول العشاء في المطاعم محدودة... لكنها لم تشعر قطّ بالخجل أو التردد... ربما لأن جيرڤيه كان مسترخياً كلياً انتقلت إليها العدوى، أو لأنها كانت تعي جمالها وأناقتها تلك الليلة... أو ربما لأنها لم تكن تتوقع ما يحصل الآن، لذلك تتشبث بأي شيء يبقيها قربه.

طلبت سمك سلمون كمقبلات ودجاج بالتوابل كطبق رئيسي. لكن حين خلعت معطفها وجلست بفستانها القصير الأكمام أمام جيرڤيه على طاولة تنيرها الشموع، نسيت كل ما له علاقة بالطعام، واستولى على اهتمامها جيرڤيه الذي راح يضحكها تارة ضحكات تخرج من صميم

قلبها وتارة أخرى يناقش معها مواضيع جادة.

وبدا لها أحياناً، أنها قادرة على أن تجاريه في مرحه إذ راح هو أيضاً يبتسم لكلام تقوله.

تبددت ابتسامة جيرڤيه ومرحه وهما ينهيان العشاء بالحلوى. نظر إليها بعينيه الرماديتين الزرقاوين، وسألها بهدوء:

ـ ألم تري أوليڤر منذ مساء الجمعة؟

أرادت أن تقول إنها تشك في أن ترى أوليڤر مجدداً إلا إذا لمحته ماراً.. لكنها ترددت.. هي وجيرڤيه منسجمان جداً.. لكنه ليس بالرجل الذي يفوته شيء.. ولسوف تموت لو عرف بمشاعرها نحوه.. من الأفضل أن تجعله يظن أنها على علاقة برجل آخر.

قالت صادقة: «إنه مسافر منذ بضعة أيام».

ولأنها لم تكن سعيدة بخداعه، قالت: «وماذا عنك؟».

ـ أنا؟

ـ أما من أحد في حياتك؟

رد بسرعة: «ماذا؟ وأنا رجل خاطب؟».

ـ هذا يعني أنك لم تقل الحقيقة لعائلتك بعد.

هز رأسه نفياً، وابتسم بفتنة: «الحياة نعمة!».

وماذا تستطيع أن تفعل؟ وضحكت..

منذ عرفت عائلته بشروط الوصية وهي تنغّص عليه عيشه. وها هو ينعم الآن ببعض الهدوء... وهي سعيدة لأنها استطاعت مساعدته.

لكن قلبها عاد ينقبض حين أحضر لها الخادم سترتها. كان ذلك إيذاناً بانتهاء أروع أمسية عرفتها في حياتها. ولهذا السبب أحست بغبطة لا مثيل لها، وهما يتجهان إلى ضواحي ديرهام الشمالية، ويمران في الجادة الهادئة حيث يقيم جرڤيه.

اقترح عليها: «ما رأيك بفنجان قهوة في شقتي؟»

قبلت: «ستكون أفضل من منزلي».

تتوجت الأمسية بدخولها مجدداً إلى شقته. لقد كانت سعيدة جداً وهي معه هنا.. لكن، وهي تدخل معه إلى المطبخ، أدركت أن عليها نسيان الماضي.. والتشبث بذكريات الحاضر.

أخذ يعدّ القهوة، فتمنت بشيء من الحنين، وهي ترى الفوضى تعمّ المكان:

ـ ستكون سعيداً بحلول يوم الجمعة، أليس كذلك؟

ـ إذا كنت تشيرين إلى أن المنزل مهمل، يمكنني أن أدعي أنني حين تركت المكان هذه الليلة، لم أكن أعرف أنني سأصحبك إلى هنا، لتناول القهوة.

وأعجبها هذا الرد، كما أعجبتها دعوته إياها إلى منزله.. فذلك يعني حتماً أنه يستمتع بصحبتها بقدر ما تستمتع هي بصحبته.

فجأة، انتقلت عيناه من عينيها إلى ثغرها.. عندئذ. انقطعت أنفاسها لأنها رأت التسلية تتلاشى ليحل مكانها الجمود. عاد يرفع نظره إلى عينيها الجادتين.

قال بصوت أجش: «تعالي إلى هنا».

وفي اللحظة التالية عرفت بيقين أنها في المكان الذي تريده.. بين ذراعيه.

بقيت هناك بكل إرادتها، وبكل إرادتها استسلمت لعناقه، واشتدت ذراعاه حولها. ثم تعلقت به، وتعلقت أكثر حين دفن وجهه في شعرها.

وتحركا معاً إلى غرفة الجلوس، ولم يبعد ذراعيه عنها حتى جلسا على الأريكة المريحة.

قال بصوت يقطر حناناً: «جميلة أنت بيڤن».

شبت في أعماق بيڤن نيران لا تخمدها مياه، حتى أصبحت لا تحتمل... تخللت أصابعه شعرها الطويل وانتقلت إلى ملامح وجهها

تتحسسها، فتأوهت: «أوه.. جيرڤيه!».

حين لامس كتفيها، تعلقت به، مسرورة، سعيدة، تاركة لقلبها التغريد.

قال بأنفاس متقطعة: «بيڤن.. الحلوة».

صاحت بصوت ملؤه العذاب: «جيرڤيه!».

وعرفت أنها لا تستطيع إنكار أي شيء عليه.

سأل وعيناه تلمعان ببريق غريب: «ستبقين معي؟».

ـ أتعني أنني أستطيع العودة إلى غرفتي؟

ـ لا... أعني.. تلك الغرفة بالذات.

فجأة رنت أجراس الإنذار في رأسها.

إنها لا تكاد تعي أين هي، لكنها تتصرف بشكل غريزي وإن لم تصغِ إلى الإنذار ستضيع.

تحركت لتبتعد عنه قليلاً، ولتستعيد أنفاسها وتتمالك نفسها. ولكنه أمسك يدها بلطف وسألها:

ـ هل من مشكلة؟

إنه لا يطلب منها البقاء معه دائماً، بل ليلة واحدة فقط! لم تكن بيڤن متأكدة من أي شيء.. لكن، حين خطر لها أن المطلوب ليلة واحدة فقط، عرفت أن الأهم هو أن جيرڤيه لا يحبها.. وقررت فوراً أن ما تريده هو أكثر من هذا بكثير.

لم تعرف كيف تمكنت من إبعاد نفسها عنه، لكنها فعلت.. وعرفت حالما أبعد ذراعيه عنها، أنه لن يجبرها على شيء.. وعرفت من هذه الحركة، أنه فهم مجدداً أنها ترفض خوض مغامرة لا تعلم ما هي عواقبها.

ـ أنا..

لكنها عرفت أن الاعتذار لا يكفي لتبرير ما حصل. مع ذلك، لم

تكن راغبة بأن تنتهي الأمسية على خصام. حتى لو كانت هي السبب، لأنها ضللته بتجاوبها.. هكذا ابتلعت ريقها، وحاولت أن تتكلم بخفة كما حصل أثناء العشاء، وسألت بصوت أجش:

ـ هل تظن فعلاً أن من الممكن أن.. نستغل خطوبتنا؟

أرادت أن يضحك، وأن يقول شيئاً مسلياً... أي شيء يجعلها تعرف أنه سامحها. لكنه لم يضحك، ولم يقل شيئاً مسلياً.. بل سحب نفساً عميقاً، وكأنه يسعى للسيطرة على نفسه، وقال لها:

ـ لا أعرف الآن أين أنا!

ثم أضاف وقد تماسك:

ـ ربما أنت على حق.. هيا، جهّزي نفسك.. سأعيدك إلى منزلك.

صباح يوم الخميس، استيقظت في فراشها، متمنية لو كانت في مكان آخر. ذلك الجانب الحوّان منها كان يصر على هذا الرجاء.. ألم يكن من الأفضل لو قضت ليلة واحدة مع جيرڤيه بدلاً من لا شيء؟ لكن هل كان سيمنحها الحب دون مقابل؟ أكان سيرضى بالحنان وحده؟

أمضت بيڤن يوم خميس سيء، ثم يوم جمعة أكثر سوءاً.. ونهاية أسبوع مريعة.

ما إن حل يوم الإثنين حتى اتخذت بيڤن قرارها. ستكف عن التفكير في الماضي وما حصل، لتركّز أكثر على مستقبلها بعيداً عن جيرڤيه. وبدا لها هذا القرار حكيماً وإيجابياً. لكنها لم تكن قد تلقت بعد جواباً على طلبات التوظيف التي قدمتها... لذلك عليها ألا تفكر في الانتقال من المنزل قبل أن تجد عملاً يؤمن لها دخلاً ما.

وبانتظار الردود ستواصل البحث عن عمل هذه المرة في «أليغتون».

يوم الثلاثاء هاجمتها أيرين بحقد:

ـ بالنسبة لفتاة مخطوبة، أنت لا ترين خطيبك كثيراً.

كان على لسان بيڤن عشرات الإيجابات.. لكنها قررت مرة أخرى،

أنها لا تريد مناقشة أمر جيرڤيه مع أيرين.

ـ هذا صحيح.

وتركت الموضوع معلقاً هكذا. لكن حين دخلت إلى فراشها تلك الليلة راحت تفكر فيه.

يجب أن تبحث عن مستقبلها.. مستقبل لا مكان فيه لجيرڤيه.. وهذا يعني، أنها لن تخرج معه ثانية. لقد مر أسبوع الآن منذ أوصلها إلى منزلها، وسار معها حتى الباب الأمامي ليقول:

ـ إلى اللقاء بيڤن.

وطبع قبلة خفيفة على خدها، قبل أن يرحل.

لكن، لو اتصل بها مجدداً سائلاً عن صحتها فستقول له إنها بخير بداعي الكبرياء. فهي لا تريد أن يشعر جيرڤيه بأي التزام نحوها. لقد كان اللطف ذاته حين كانت مريضة. إنما الأمر يتوقف عند هذا الحد.. فلم تعد تعيش تحت سقفه.. ولا تريده أن يشعر بالمسؤولية نحوها.

مر يوم الأربعاء دون أن يرن جرس الهاتف ولو مرة واحدة. فذهبت بيڤن لتنام باكراً وهي تفكر في تلك الأمسية الرائعة التي أمضتها مع جيرڤيه.

حينما حلّ يوم الخميس، عرفت أنه لن يتصل أبداً.. وأنّ المستقبل سيكون باهتاً مثل الأيام التي تمر بها.

يوم الجمعة، كانت على استعداد للقبول بأية وظيفة. أما أيرين فلم تتوقف عن مضايقتها والتدخل بأمورها، وفيما كانت تحاول جهدها لإبعاد جيرڤيه عن أفكارها... دأبت أيرين على الكلام عنه.

قالت بصوتها الناعب:

ـ هذه الحال لا تعجبني.. أسمعت؟

الواضح أنها كانت تعد الأيام منذ قابلت بيڤن جيرڤيه لآخر مرة:

ـ هل تشاجرتما؟ يجب أن تحذري! لا يمكن أن تقابلي رجلاً مثله كل يوم! ولن يدهشني أن...

اكتشفت بيڤن أن أفضل طريقة للتعامل مع كلام أيرين الساخر هي عدم الرد عليه. وهذا ما فعلته. حين خرجت أيرين من المنزل عصر ذلك اليوم، شعرت بيڤن براحة حقيقية.

كانت بيڤن في الطابق الأعلى تفكر في الأشياء التي ستأخذها معها حين تنتقل عندما رن جرس الهاتف.. تركت ما كانت تفعله، ونزلت السلم إلى غرفة الجلوس ثم توقفت.. لن يكون هذا جيرڤيه! وإذا كان هو، لن توافق على الخروج معه.. تنبهت إلى أنها تركت الهاتف يرن طويلاً، فأسرعت ترفع السماعة قبل أن يفترض المتصل أن لا أحد في المنزل.

سأل جيرڤيه: «كيف حالك بيڤن؟»

أوه جيرڤيه، أحبك كثيراً!

ردت بحبور: «ما كنت يوماً أفضل حالاً».

ـ جيد.. كنت أتساءل عما إذا كنت تودين...

قاطعته: «لا أعتقد.. أن علينا الخروج معاً مرة أخرى».

نطقت بيڤن بهذه الجملة بسرعة مخافة أن تغيّر رأيها. وسرعان ما شعرت بالراحة ولكنّ صمتاً بارداً خيّم من الطرف الآخر، وقررت بيڤن أن تودّعه وتقفل الخط... لكنها لم تنفّذ قرارها...

ثم تكلم جيرڤيه الذي أصبحت لهجته سخرية مريرة:

ـ لا تخافي أيتها العذراء الصغيرة. فالدعوة ليست مني.. بل من والديّ.

شهقت باهتياج، وليس بذعر: «والداك؟».

قال وقد تبددت سخريته:

ـ لم أكن أرغب في إزعاجك. لكنهما كانا يضغطان علي طوال

الأسبوع . . وهما يصرّان على مقابلتك . . وأنا . .

وصمت، ثم أكمل بهدوء:

ـ . . وافقت على أن نذهب إلى القصر غداً.

سألت بصوت خشن: «نذهب . . ؟».

صمت لحظة، وحين لم تجادله، قال:

ـ أحضري معك بعض الملابس . . سنبيت ليلة هناك.

وأقفل الخط . . أقفلت بيڤن السماعة وهي لا تزال تحت وقع الصدمة مذهولة لقبولها الهادىء . . ماذا حلّ بقرارتها وبترتيباتها المستقبلية . . . لكنها تعرف أنها تحبه . . . كما تعرف أن قلبها يتراقص فرحاً في صدرها . . . ولن تستطيع شيئاً سوى اللحاق به إلى آخر الدنيا، لو أراد ذلك.

* * *

٨ ـ الشمس لن تعود

عندما حلّ ظهر يوم السبت، وبعد أن زارت بيڤن محل الملابس في ديرهام زيارة خاطفة، استبدّ بها التوتر وراحت تتساءل عما إذا كان ما تفعله صواباً. وعما تظن نفسها فاعلة. كيف يكن لها أن تذهب مع جيرڤيه وتخدع أهله؟

ولكن مع مرور الوقت بدأ خوفها يتلاشى. كيف تستطيع الاعتذار وجيرڤيه بحاجة إليها؟ ثم عادت تفكر كيف سمحت لجيرڤيه أن يستغلها بهذه «الخطوبة» حتى الآن، دون أن تعترض.

حين عرفت أيرين أنها ذاهبة مع جيرڤيه لقضاء الليل في منزل والديه، طارت فرحاً . . لم تكن بيڤن تريد أن تطلع أيرين على مشروعها. لكن، حين عادت أيرين إلى المنزل، وقالت لها بحقد:

ـ لا أعتقد أنك سترين خطيبك الليلة كذلك!

اضطرت أن تقول لها:

ـ على فكرة . . أنا وجيرڤيه سنقضي ليلة السبت في منزل أبويه.

وأصبحت أيرين لطيفة بشكل يثير الغثيان، ومع ذلك ابتعدت بيڤن عن طريقها قدر المستطاع. ولهذا هي الآن واقفة مرتدية القميص، والكنزة، والسترة وأفضل سراويلها، وأمام قدميها حقيبة صغيرة، تَتطلع إلى الخارج من نافذة غرفتها. كانت على وشك أن تتمنى مرة أخرى لو

www.elromancia.com

أنها سألت جيرڤيه في أي وقت سيأتي، حين توقفت سيارته في الخارج.

انتابت بيڤن مشاعر غامضة، حين التقطت حقيبتها ونزلت بسرعة، فهي لا تريد أن يصعد ممر الحديقة ويدق جرس الباب. ولا بد أن أيرين كانت تراقب من نافذة الطابق السفلي، وقد عرفت هذا حين التقت بها في الردهة.

وضعت أيرين يدها على مقبض الباب وفتحته فودعتها بيڤن بلطف واستدارت ليأخذ جيرڤيه منها الحقيبة.

حياها بحركة من رأسه: «بيڤن!».

ردت بهدوء: «مرحباً جيرڤيه».

وضع الحقيبة في الصندوق، وانطلقا. فأحست بيڤن أنه متوتر مثلها تماماً.

ربما لا يعجبه أن يخدع أبويه كذلك.. حتى ولو كانا، بمشاركة شقيقته روزيلاند، قد جعلا حياته لا تطاق مؤخراً.. وسأل:

ـ كيف كنت في الأيام الماضية؟

بذلت جهداً لتسيطر على توترها وتردّ: «بخير.. وأنت؟»

ـ رائع.

توقف الحديث عند هذا الحد... ومضت نصف ساعة خيّم عليها الصمت التام.

ثم وجدت نفسها تسأل:

ـ إلى أين نذهب على فكرة؟ أنا لا أعرف أين يعيش والداك.

ـ ألم أقل لك؟ في بيرفورد شاير.

وحل الصمت مرة أخرى بينهما، في حين رفضت بيڤن أن تقطعه مرة أخرى بسؤال آخر.

لم يمض وقت طويل حتى توغلت سيارة جيرڤيه في طريق جبلية طويلة وسرعان ما توقف قرب منزل ريفي كبير، مبني من الحجر

الأحمر.. عندما ترجّل من السيارة أحست بيڤن بموجة ذعر تجتاح نفسها خاصة وهي تراه يفتح لها الباب.

سألت بسرعة: «وكيف يجب أن أتصرّف؟».

رد عليها بهدوء: «كما تتصرف أية خطيبة».

بدا لها فجأة أن التوتر الذي لاحظته عليه، بدأ يزول، إذ تراقصت على شفتيه ابتسامة مرحة وهو يضيف:

ـ كأن الشمس لا تشرق ولا تغرب إلا في عينيّ.

قالت ساخرة: «ليكن الله في عوننا!».

عاد يبتسم فأزالت ابتسامته توترها كما يذوب الجليد في دفء الشمس. وفجأة أخذا يضحكان معاً.. وفي هذه اللحظة، خرج والداه للقائهما.

ابتسمت هيلين ديڤلرز، هي امرأة جليلة طويلة في أواخر الخمسين، بلطف:

ـ لقد سمعنا صوت سيارتك!

وقبلت ابنها ثم التفتت إلى بيڤن، ولم تنتظره ليعرفهما، بل ابتسمت:

ـ بيڤن! لقد كنا نتشوق لهذا اليوم.

قالت بيڤن بشكل رسمي: «كيف حالك؟».

وتلقت قبلة على الخد من هيلين ديڤلرز وزوجها.

كان لورانس ديڤلرز أكبر من زوجته بحوالي خمس سنوات، وهو طويل مثل ابنه.. لكنه جعل إحساس بيڤن بدفء هذا اللقاء يتبدد حين قال بلهجة حادة:

ـ أنا مسرور لأن أحداً تمكن من أن يعيد الابتسامة إلى وجه جيرڤيه.. كان مؤخراً كالدب الذي يؤلمه رأسه.

أرادت أن تدافع عن جيرڤيه: وذنب من هذا؟ لكنها كانت تعرف أن

www.elromancia.com

العائلة كلها تؤيد رأي لورانس ديفلرز.

- إنها موهبة... إما أن تكون أو لا تكون.

ونظرت إلى جيرڤيه وهم يدخلون إلى المنزل فرأت في عينيه نظرة حنان دافىء...

شكلت تلك النظرة زاداً رفع روحها المعنوية وهم يجلسون في غرفة الجلوس الأنيقة، يشربون الشاي. وعندما أرشدوها إلى غرفتها، وأصبحت بمفردها، عادت لتفكر في تلك النظرة الدافئة التي لمحتها فلم تكد تجرؤ على تصديق ذلك.. ثم أخذت تستعد نفسياً لعشاء الليلة. فمن المتوقع أن ينضم روزيلاند وزوجها إليهم.

ولكن ربما كانت روزيلاند وزوجها يتناولان العشاء في منزل العائلة كل ليلة سبت.. ولكن لا... كان لديها إحساس بأن شقيقة جيرڤيه، ستأتي لزيادة الضغط عليه ليتزوج قبل شهر تموز.. وهو ضغط قد يطالها هي كذلك، لأنها العروس العتيدة.

أمضت بيڤن بعض الوقت تفكر قلقة بما سيحدث على العشاء.. لكن، ما إن ارتدت فستانها الصوفي الجديد المتوسط الطول بلونه الكهرماني الذي يتناسب تماماً مع شعرها الأحمر.. حتى زال قلقها وتوقعت الأفضل.. وفكرت.. يالله، لقد تحمل جيرڤيه أشهراً طويلة من الضغط.. وإذا لم تستطع أن تتحمل بضع ساعات، فستخيّب آماله! وعلى أي حال، سيكون جيرڤيه موجوداً، وإن تعقدت الأمور باستطاعتها الاعتماد عليه.

مع ذلك، وبالرغم من كل أفكارها، كانت تعترف في سرها أنها كانت متوترة، حين جاء جيرڤيه ودق بابها ليأخذها إلى العشاء.

سأل: «مستعدة؟».

كان يبدو أنيقاً في سترة العشاء وقميصه الأبيض.

ردت: «سأحضر حقيبة يدي».

وعادت إلى الغرفة والتوتر يفسح الطريق لقلب يخفق بجنون بسبب الإعجاب الذي ظهر واضحاً في عينيه.

نزلت معه السلم الأنيق العريض، وهي تشعر بالسعادة لأنها أسرعت إلى حمل الثياب ذلك الصباح في ديرهام. وازدادت سعادتها في غرفة الجلوس حين نظرت إليها روزيلاند بإعجاب... وقالت:

- بيڤن!

وتقدمت إليها مبتسمة: «ما أروع أن أراك هنا!».

واستدارت إلى رجل ممتلىء الجسم يكبرها ببضع سنوات.

- تعالي وقابلي ميلو.. زوجي.

كان ميلو ويليامز أشقر الشعر، ويبدو أنه يحب زوجته كثيراً.. وهو حب تبادله إياه روزيلاند، كما لاحظت وهم يجلسون حول المائدة.

كان جيرڤيه قد قال لها مرة، إن روزيلاند قد تكون أحياناً باردة إلا أن لها طبعاً محبباً.. لكن، عندمابدأوا يتناول العشاء، راحت روزيلاند تركز كل اهتمامها على الخطيبين.. فوجدت بيڤن صعوبة في رؤية الجانب المحبب منها.

لكنها حافظت على ابتسامتها طوال الوقت كما دخلت في نقاش قصير عن العناية بالحدائق مع هيلين.. الواضح أن روزيلاند لم تكن تريد هدر الوقت بالمجاملات. فسألت جيرڤيه فجأة وبصراحة:

- متى ستتزوجان بالضبط؟

تحولت كل العيون إلى جيرڤيه، وظنت بيڤن أنها رأته يوجه نظرة باردة إلى شقيقته... ثم، حوّل نظره من أخته إليها. وصمت قليلاً، ثم ابتسم.. وابتسمت له مشجعة، ثم تلقت صدمة حياتها حين قال:

- أخشى يا روزيلاند أن تكون بيڤن مصرة على جعلي أنتظر.

وتحولت كل العيون إليها... ولم تستطع أن تعرف كيف تمالكت نفسها.. تذكرت كيف ظنت أنها قادرة على الاعتماد عليه لدعمها.

ولكن ها هو يرمي كرة مربكة في ملعبها.. شعرت بالغضب فجيرڤيه يعلم أن مسألة الزواج محلولة بينهما فكيف يقول إنها تريد منه أن ينتظر؟

قالت هيلين بلطف: «هذا عدم لياقة منّا! لا عجب أنك تريدين الانتظار.. لقد فقدت والدك مؤخراً.. كما قال لنا جيرڤيه».

قالت بيڤن بهدوء: «أجل.. هذا صحيح».

وأدركت من خلال هذا السؤال أن جيرڤيه أخبرهم عن موت والدها.

حاولت أن تتقبل الموقف لكنها رأت أن لورانس ديڤلرز يوجه إلى زوجته نظرة ساخطة، ولم يدهشها أن يعيد الحديث إلى حيث يريد، بسؤاله المفاجيء:

ـ أعتقد أن جيرڤيه أخبرك بشروط وصية جده؟

رفضت النظر إلى جيرڤيه، وردت: «أجل».

ـ إذن.. ألا يمكن أن تفكري بالزواج قبل عيد ميلاده؟

ونظرت بيڤن إلى جيرڤيه.. لكن رغم ثبات نظرته عليها، لم يكن يفعل شيئاً لمساعدتها، وبدأت تشعر بالغضب منه مرة أخرى.

وفكرت.. سوف تقول للجميع إنها على استعداد لتتزوج جيرڤيه غداً لو أراد.. لكنها أحجمت ولم تستطع إلا أن تقول:

ـ أحتاج.. أن أفكر بالأمر.

قال والده: «حسن جداً.. وفيماأنت تفكرين في الأمر.. خذي بعين الاعتبار واقع أن هذا المنزل والأملاك تستنزف مصادر مالي بشكل مستمر».

تمتمت: «أجل.. حسن جداً».

لكن الضغط لم ينته هنا.. وتابع:

ـ أنا ووالدة جيرڤيه، سنعرف الاستقرار المالي في سنواتنا الأخيرة.. إذا تأمنت الثروة التي هي من حقي.

سنواتهما الأخيرة! يا الله. هذا مجرد نموذج مما يتحمله جيرڤيه.. والداه لم يتجاوزا الستين بعد وليسا عجوزين على أعتاب الموت! يبدو أن لورانس ديڤلرز، يعتمد على إثارة المشاعر لتحقيق أهدافه.. لذلك لم تحاول بيڤن بدافع من أخلاقها الحسنة، أن تجادل في الموضوع.. لكن، في تلك اللحظة رأت روزيلاند على وشك أن تدلي بتعليقها، ثم رأتها تنظر إلى أبيها، ولمحت الطريقة المؤثرة التي هز بها الأب رأسها. فهمت بيڤن تلك الحركة، التي تقول لروزيلاند أن تترك الأمر له.. إذن هو يعتقد أنه بدأ يؤثر فيها، ولهذا لم تستطع أن تبقى ساكنة.

هكذا، ابتسمت، ونظرت مباشرة إلى لورانس ديڤلرز، وسألته ببراءة:

ـ ألا يمكن أن تبيع هذا المنزل وتشتري مكاناً أصغر منه؟

حالما خرجت الكلمات قالت في نفسها: يا إلهي!. هكذا يكون الصمت والذهول؟ حركت نظرها من رب العائلة إلى ابنته، فلمحت نظرتها الباردة. وأبعدت بيڤن نظرها عنها لتجد أن ميلو يبدو عدائياً كذلك.. حتى هيلين ديڤلرز التي كانت تبدو ألطف من الجميع، بدت غريبة الأطوار.

حصد كلامها عدوانية الجميع. فلم تجرؤ بيڤن على النظر إلى جيرڤيه. لكنها لما نظرت إليه أخيراً أحست برغبة شديدة بأن تضربه! لأنه الوحيد الذي بدا وكأنه يوشك أن ينفجر ضحكاً في أية لحظة... يا له من وغد! أيظن الموقف مضحكاً!

استعاد والد جيرڤيه أنفاسه ليقول بلهجة وعية:

ـ أبيع المنزل؟ هذا المنزل كان لعائلة ديڤلرز منذ أجيال!

تمتمت: «أوه».

وأحست بالحرج حين تابع:

ـ أنا أحتاج إلى ذلك المال لأحافظ عليه بحالة جيدة لك ولابني..

ففيه ستعيشان يوماً ما.

أوه.. يا الله. وصمتت بيڤن.. وودت لو ينتهي العشاء بسرعة.. حين انتهى، وانتقلوا إلى غرفة جلوس قريبة، حاولت فوراً التذرع بحجة كي تستطيع الذهاب إلى غرفتها.

سألت هيلين بابتسامة صادقة: «هل تحتاجين إلى شيء؟».

ـ لا.. شكراً لك سيدة ديڤلرز.

وما إن وقفت لتخرج حتى تقدم جيرڤيه ليتمنى «لخطيبته» ليلة سعيدة.. ولكنها وجدت أنها اكتفت منه كما اكتفت من عائلته.

حين وصلا إلى الباب وأمسك بذراعها، أدرك من النظرة الغاضبة في عينيها أنها ستلقنه درساً لن ينساه لو حاول أن يقبلها. وتمتم لئلا يسمعه أحد.. مبقياً على مسافة بينهما:

ـ هل من مشكلة؟

همست بغضب: «واحدة فقط!».

ولم تعرف كيف خرجت من الغرفة دون أن تضربه، أما هو فردّ بضحكة صامتة واسعة وكأنه يجد ردها مسلياً.

في غرفتها، أخذت تتجول وهي تعرف أن جيرڤيه ديڤلرز هو أكبر مشكلة يمكن أن تواجهها. كان يعرف جيداً سبب غضبها.. فلقوله «أخشى أن تكون بيڤن مصرة على أن تبقيني منتظراً!» يستحق هو وعائلته أن يُرمى بهم من مرتفع عال!

كانت مسرورة حين دخلت إلى الفراش وجذبت الأغطية فوق رأسها.. لم تكن تعتقد أبداً أنها قد ترغب يوماً في العودة إلى أيرين، لكن حين فكرت أن الأمر لم ينته بعد وأن الضغط سيبقى في الصباح، تمنت لو تعود إلى آبي تشيني.

نامت نوماً سيئاً، واستيقظت باكراً.. وحين سمعت صوت حركة حولها، قررت أنها اكتفت من النوم. استحمت، وارتدت ملابسها،

بنطلون الأمس وقميصاً نظيفاً، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل بحثاً عن فنجان قهوة.

وجدت غرفة الفطور دون جهد.. لكنها توقعت المتاعب لأنها لم تكن الوحيدة هناك.. فقد سبقها جيرڤيه وشقيقته.. ومن مظهرهما، عرفت أنهما تبادلا بعض الكلمات الحادة.

بدا أن جيرڤيه قد تناسى توتره مع أخته حين شاهد بيڤن، وحياها بلطف: «صباح الخير».

وسحب لها كرسياً لتجلس إلى الطاولة.

ردت بأدب: «صباح الخير».

وجعلت من هذا تحية لكليهما.. صبّ لها جيرڤيه فنجان قهوة وضعه إلى جانبها.. ثم سأل:

ـ ماذا تريدين أن تأكلي؟.. ستحضر السيدة هورتون إلى هنا..

قاطعته: «لا شيء الآن.. شكراً».

لم تكن جائعة، ولا تريد من مدبرة المنزل أن تحضّر لها شيئاً.

خيّم صمت قصير على الغرفة.. لكنها لم تكد تنهي قهوتها، حتى تلقت تأكيداً على أن الضغط سيستمر عليها وعلى جيرڤيه اليوم، لتحديد موعد الزواج.. إذ لم تضيع روزيلاند أي وقت لتنظر إليها متحدية:

ـ بكل بساطة، لا أستطيع فهم سبب رفضك فكرة الزواج حالاً.

فتشت بيڤن عن رد يغطيها، لم تكن تشعر الآن بود كبير نحو جيرڤيه، إلا أنها ما زالت تحبه والحب والولاء متلازمان.. لم تحتج أن تبحث طويلاً لأنه ردّ عنها فوراً وبشكل حازم:

ـ دعك من هذا الآن روزيلاند.

ـ ولماذا؟ كنتما تقيمان في شقة واحدة كزوجين. فما الفارق إذن؟

قاطعها جيرڤيه بحدة:

ـ بيڤن لا تعيش في شقتي!

سخرت: «هذا كثير علي!».

قاطعها مجدداً: «السبب الوحيد لوجود بيڤن هناك، ولارتدائها بيجامتي، هو أنها كانت مريضة جداً... أما عن العلاقة التي تلمحين إليها فاعلمي أن بعض النساء يرفضنها».

ـ يا الله... ! هل تقول إن بيڤن نقية و..

قاطعها بخشونة: «صدقي أو لا تصدقي!».

كانت بيڤن تتطلع بذهول من أحدهما إلى الآخر، وكأنها غير موجودة.. حاولت روزيلاند أن تقول: «يا.. الله..»

وبدا أنها تجد صعوبة في استيعاب ما قاله شقيقها لها.. فحاولت مجدداً:

ـ حسن جداً.. سوف..

فجأة، تذكرت أن جيرڤيه سبق أن قال لها إن بيڤن كانت مريضة يوم الأحد الذي زارته فيه، وربما أدركت أن بيڤن كانت محمرة الوجه من الحرارة المرتفعة، لا من شيء آخر.. واستدارت إلى بيڤن، لتظهر جانباً مختلفاً جداً من الجانب العادي. وقالت صادقة:

ـ أعتذر بيڤن.. يبدو أن تعليقاتي كانت قاسية وفي غير محلّها.

في هذا الوقت، كانت بيڤن قد نالت قسطها من المرح من كليهما.. ودون كلمة، أو نظرة، دفعت كرسيها إلى الوراء، وتركت غرفة الفطور.

كانت تريد أن تصعد إلى غرفتها.. لكن ما كانت تحتاج إليه، هو بعض الهواء النقي.. ودون أن تفكر، خرجت نحو الباب الأمامي، وراحت تسير في الحديقة، ثم توجهت من البوابة إلى الحقول.

كانت روزيلاند ويليامز، رغم من اعتذارها الصادق، امرأة شنيعة.. لكن جيرڤيه ديڤلرز أسوأ منها بكثير! لقد قال لأخته ما معناه

أنها عذراء ولا فضل له في ذلك...

توقفت أفكارها لدى سماعها وقع أقدام تسير خلفها، وتقترب منها... سار جيرڤيه قربها ووضع سترته فوق كتفيها.. كان مجرد الإحساس بالسترة التي عرفت دفء جسده يبعثه الدفء الآن في شرايينها ويدمّر أعصابها.

رغم ضعفها، بقيت مرفوعة الرأس، تتابع السير. لم تفكر بالبرد في الخارج وهي تخرج بغضب من المنزل، لا ترتدي سوى قميص رقيق.. رأت في لحاق جيرڤيه لها دليلاً على أنه لا يرغب بتحمّل عبئها مجدداً لو أنها بردت، وأصيبت بوعكة أخرى.

وزاد غضبها منه حين لاحظت أنه يتمشى قربها راضياً بينما تسير هي والغضب بادٍ في خطواتها. كان يعرف أنها ليست مسرورة بصحبته الآن، لكنه بقي معها.

حينما اقتربا من بوابة حديدية بدأت تبطيء سيرها. عرفت بيڤن ما إن وصلا البوابة، أنها لن تستطيع التحمل أكثر من هذا.. كانت غلطة كبيرة منها أن تأتي إلى هنا.. لكن، رغم تصميمها على قطع علاقتها به نهائياً أرادت أن تمضي المزيد من الوقت معه.

فجأة توقفت.. ترفع نظرها إلى عينيه الرماديتين الزرقاوين الهادئتين. وقالت بحدة:

ـ أنا جاهزة لأعود إلى آبي تشيني متى أردت.

عرفت أن لهجتها لم تعجبه، لكنه بقي هادئاً.. وقال وهو يهزّ كتفيه:

ـ سأرى... هل هناك سبب محدد؟

سبب! أيريد سبباً؟ انفجرت قائلة:

ـ من أين تريد أن أبدأ؟ ماذا عن البدء بقولك «أخشى أن تكون

بيڤن مصرة على جعلي أنتظر»؟

حافظ على هدوئه. وقال متشدقاً:

ـ وهل كنت تريدين مني أن أكون نذلاً لأقول للجميع إنني لست مستعجلاً على الزواج؟

أدمى كلامه قلبها.. مع أنها كانت تعرف منذ البداية أنه لا يريد الزواج بها... هذا الارتباط لا يتناسب ومخططاته المستقبلية.

قالت: «حسن جداً.. لست سعيدة أبداً بهذا الخداع الذي نمارسه على عائلتك!».

ـ وهل تفضلين الزواج لإثبات صدق ادعاءاتنا؟

انقطعت أنفاسها.. ثم وجدت القوة لتقول:

ـ اذهب إلى الجحيم!

ارتدت على عقبيها مبتعدة عنه.. لكنها لم تكد تخطو خطوة حتى مد يداً غاضبة ليمنعها.. وسأل:

ـ أم أنك تنوين الزواج بشخص آخر؟

رفعت نظرها تحدق فيه، ومشاعرها صاخبة لا تستقر بها على برّ.. وفجأة كذلك، بدأت تشعر باليأس.. ربما يريد أن يعرف بأن شخصاً ما يهتم بها، لأنه لم يعد يهتم... وصاحت:

ـ أجل! بما أنك تريد أن تعرف.. أجل.. أجل.. أجل!

صاح واعداً: «من؟».

ـ لا شأن لك بهذا!

ـ أوليڤر؟ الرجل الذي كان يعانقك يوم الجمعة... يوم تركتني؟ هل طلب الزواج بك؟

قالت بتحدّ: «وماذا لو فعل؟».

فجأة أخذ قلبها يخفق بشدة مخيفة في ضلوعها. هل فهمت كل شيء على نحو غير صائب؟ هل يهتم جيرڤيه.. ولو قليلاً؟

ضحك القدر ضحكة جوفاء لفهمها الخاطىء.. إذ لم يكن رده سوى أن دفع ذراعها وهذا يدل على مدى اهتمامه بها.

ـ تزوجيه إذن.. اللعنة عليكما.

واستدار ليعود إلى المنزل.

لو صفعها جيرڤيه لما أحست بالألم الذي تشعر به الآن. لقد أطلقت العنان لمخيلتها المجنونة... صحيح أنه غضب لأنه اعتقدها مقدمة على الزواج بأوليڤر، لكن بدا أن من دواعي سروره أن يسلمها للعريس بنفسه يوم الزفاف.

رفعت بيڤن رأسها في الهواء، وعادت إلى المنزل. لن تدع أحداً ينظر إليها بازدراء وخاصة جيرڤيه ديڤلرز!

كانت روزيلاند تمر بالردهة حين دخلت بيڤن، لا تريد أن ينظر إليها أحد بتكبر.

قالت روزيلاند بلهفة: «ستغادران في الحال، كما قال جيرڤيه!».

الواضح أن هناك أكثر من هذا، وأرادت أن تسمع المزيد.

ردت باقتضاب: «صدقي هذا!».

ورمت سترة جيرڤيه على كرسي أثري في الردهة، وبدأت تصعد السلم حين وصل إليها صوت روزيلاند:

ـ يا إلهي.. أصبحت مثله تماماً!

رحلة العودة إلى آبي تشيني لم تكن مرحة.. ولم تتخللها الأحاديث.. وقد أمضتها وهي تفكر كم كانت والدة جيرڤيه طيبة حين ودّعتها قائلة:

ـ تعالي مرة أخرى.. وابقي مدة أطول هذه المرة.

قالت روزيلاند، لا تستسلم بسهولة:

ـ هل من الممكن أن أكون إشبينتك في الربيع؟

ردّت بيڤن: «لا آمل أبداً!».

وحين علت وجه روزيلاند ابتسامة مرحة أدركت بيڤن أن بإمكانها أن تحبها.

وقالت روزيلاند: «أتودين أن نلتقي في البلدة يوماً؟».

وقبل أن تفكر بيڤن في رد مناسب، كان ميلو يودعها بلطف، مثل والد جيرڤيه.. في الواقع، بدا الجميع غاية في اللطف.. ما عدا جيرڤيه.

ظنت بيڤن أنها ستكون سعيدة بوصولها إلى آبي تشيني، لكن، بعدما أصر جيرڤيه على حمل حقيبتها، اكتفى بإحناء رأسه احتراماً لوداعها.. ولم تعرف ما كانت مشاعرها.

سألت أيرين بغضب: «ألم تطلبي من السيد ديڤلرز الدخول؟»

ردت: «لم أر داعياً لذلك.. وأشك أن أراه مرة أخرى».

ـ وهل فسخت الخطوبة؟

ردت بيڤن: «كان قراراً مشتركاً».

ولم تكن بيڤن ترغب في سوى الوصول إلى غرفتها وإغلاق الباب على العالم في الخارج..

صرخت أيرين: «أيتها الغبية! كيف يمكن لك أن ترفضي فرصة العمر! لا بد أنك جننت. كيف تفرطين بكنز كهذا؟».

ـ هذه مسألة خاصة.

صاحت أيرين مجدداً: «ليس وهي تهمني.. لا!».

ـ تهمك؟ كيف؟

أحست بالغثيان وهي تسمع أيرين تنطلق بسلسلة من السباب، ملخصها أن السبب الوحيد الذي يجعلها تبقيها في منزلها هي ثقتها بأن السيد ديڤلرز قد يرغب في التعويض عليها.

تركتها بيڤن، وذهبت رأساً إلى غرفة المخزن الصغيرة حيث توضع الحقائب الكبيرة، وأخذت حقيبتين وصعدت إلى غرفتها وبدأت على الفور في جمع أغراضها.. ثم وجدت أن غرفتها لم تكن آمنة من هجوم

أيرين دون أن تقرع الباب.

ـ راحلة؟

ـ كان يجب أن أفعل هذا يوم انتقلت أنت إلى هنا.

* * *

استيقظت بيڤن يوم الجمعة على يوم كئيب من أيام شهر آذار في غرفة نوم باهتة، وفكرت في اليوم الذي أمامها دون حماس. كانت الحياة مملة، مملة.. بعيداً عن جيرڤيه.

مع ذلك، ولأول مرة منذ خمسة أسابيع، وبعد ما ودعت آبي تشيني، وضعت بيڤن هدفاً واضحاً لها... وهو أن جيرڤيه بعيد عن منالها وعليها أن تفكر بأشياء إيجابية تؤمن لها حياتها.

نهضت من السرير وهي تفكر بأنها أكثر حظاً من معظم سكان هذه المنطقة المليئة بالشقق المفروشة... الشقة صغيرة لكنها تفي باحتياجاتها، وإذا حالفها الحظ، قد تنتقل قريباً إلى مكان أكبر.

كانت تحت ماء الدوش حين أخذت تتذكر ما حصل في الأسابيع الأخيرة.. كانت مضطربة جداً حين وضبت حقائبها، وحملتها بجهد إلى مفترق الطرق.. لم تكن تعرف إلى أين تذهب أو ماذا تفعل. شعرت حينذاك بالهزيمة ولم يعد للمكان أية أهمية. استقلت أول باص مر بها، متجهاً إلى إيلنغتون. وقررت أن تنزل من محطة قطارات إيلنغتون، لتستقل القطار المتجه إلى لندن.

كانت في المحطة، حين عرفت شيئاً مؤكداً.. وهي أنها لا تريد الصعود إلى القطار المتجه إلى لندن.. في حين يعيش جيرڤيه في ديرهام.

أمضت ليلة الأحد تلك في فندق قريب من المحطة. كان عليها أن تجد بسرعة مكاناً تقيم فيه على ألا يكلفها الكثير. خرجت في الصباح التالي وحالفها الحظ، لأنها وصلت إلى المكان المناسب في الوقت المناسب. إذ

www.elromancia.com

وجدت غرفة مفروشة قد شغرت حديثاً. . لم تكن معتادة على العيش في مكان صغير كهذا. لكن حياتها كلها انقلبت رأساً على عقب.

وضعت حقائبها وخرجت فوراً تبحث عن عمل. . وبقي الحظ حليفها حين عرض عليها بعد أسبوع، أن تعمل كمساعدة لموظفة استقبال في شركة تأمين.

ولم يمض وقت طويل حتى استقرت جيداً في عملها الجديد. مر عليها الآن أسبوع في عملها، كانت ترى خلاله جيرڤيه في كل رجل طويل أشقر الشعر يدخل المكتب. . ثم قرأت في الصحف أن «مجموعة ديڤلرز» تمكنت من ضم شركة «أويتسو» الهندسية. منذ ذلك الأحد، الذي أوصلها فيه جيرڤيه إلى منزلها القديم ورحل دون كلمة. . راجعت أكثر من مرة، كل حديث دار بينهما، أو نظرة، أو خلاف، وتذكرت الآن صوته حين سأل: «ما رأيك بأن ندعي الخطوبة حتى أتمكن من شراء تلك الشركة؟». وعرفت أن هذه هي النهاية، حقاً. فقد وافقت على «الخطوبة» حتى هذا الوقت. . إلى أن يتم شراء الشركة الأخرى. . وها قد تمّ. صحيح أنها تخلت بنفسها عن تلك الخطوبة منذ ثلاثة أسابيع، إلا أنها كانت تشعر بأنها ما زالت مرتبطة بجيرڤيه.

توقفت بيڤن عن التفكير في الماضي وشغلت نفسها بارتداء الثياب والاستعداد للذهاب إلى مركز عملها. . لكن التفكير فيه رافقها طوال الطريق.

تقدمت ترايسي إحدى الفتيات اللواتي تصادقت معهن لتضع بعض الأوراق على مكتب بيڤن:

ـ هل ستذهبين الليلة لرؤية الشقة في شارع «آرلنغ فورد»؟

ردت بيڤن: «أجل. . في أي وقت بعد السابعة، كما قال المعلن حين اتصلت به».

ـ حظ سعيد إذن.

وعادت إلى مكتبها.

تابعت بيڤن عملها وهي تفكر أنها قادرة فعلاً على تحمّل إيجار أكبر من الذي تدفعه لقاء سكنها الحالي. ثم عاد جيرڤيه يسيطر على أفكارها، فلن يستطيع أن يجدها هذه المرة. هذا إن كان يرغب أصلاً في أن يجدها.

غادرت بيڤن العمل، بعد الخامسة بقليل. لم تتمكن من اللحاق بالباص لتعود إلى شقتها لتشرب فنجان شاي قبل الذهاب لرؤية الشقة الجديدة. لذلك قررت أن تتجول قليلاً في البلدة.

استدارت عند زاوية الشارع واتجهت نحو الطريق الرئيسية في إلينغتون. . وجدت أمامها واجهة وكالة سفر. . إنه فرع لمكتب السفريات الذي انهارت أمامه في يوم الجمعة ذاك منذ زمن بعيد.

توقفت. . مسمّرة في مكانها، تنظر إليه للحظات طويلة لا نهاية لها، أوه. . جيرڤيه! وأحست بالتعاسة، فكادت تبكي. . كم كان لطيفاً معها تلك الليلة. . تلك الليلة حين تقدمت منه لتقول: «عفواً».

ـ أتساءل عما إذا كنت تمانعين. . .

لم يكن ذلك صوتها! أصيبت بذهول تام وهي تظن أن تفكيرها الشديد بجيرڤيه قد صور لها أنها تسمع صوته، ليس في رأسها فحسب بل في أذنيها كذلك.

استدارت بسرعة. . وكادت تنهار حين امتدت يد لتمسك بذراعها، وكأنها تخشى أن تهرب. وانقطعت أنفاسها. . ثم لم تعد تعي ما إذا كانت تتنفس أم لا. لأنها كانت تتطلع إلى فوق، في العينين الرماديتين الزرقاوين، في الرجل الطويل الأشقر الشعر.

فتحت فمها، لكن لم يخرج منه أي صوت. . لم تستطع إلا أن تنظر إلى وجهه الصارم، وهي صماء بكماء! كانت لا تزال مصدومة حين قال جيرڤيه بصوت أجش:

ـ كنت على وشك أن أسأل عمّا إذا كنت تمانعين في المجيء معي.

ظلت صامتة تنظر إلى مكان النبض في صدغيه، فتابع:

ـ أنا أصرّ على أن تأتي معي.

واستعادت بيڤن وعيها، حين قادها جيرڤيه، بقبضة صارمة وهي أكثر ذهولاً من أن تعترض، عبر الشارع إلى حيث تتوقف سيارته.

* * *

٩ ـ قاطع الطريق

كانت بيڤن تجلس في سيارة جيرڤيه وهي تحاول أن تتكيف مع الوضع الجديد.. إنها صاحية.. وهذا يحدث فعلاً.. والآن! ثم استولى عليها التوتر.

وقاومت بيأس هذا التوتر.

قالت وهي تغالب توترها:

ـ ما أروع جداً أن أراك مجدداً جيرڤيه.. لكن علي الاهتمام ببعض الأعمال.

ـ وأنا كذلك!

وبينما كانت بيڤن تفكر في فتح الباب وترك السيارة، تابع جيرڤيه بلهجة لا تقبل الجدل:

ـ في شقتك أم في شقتي؟

ـ ماذا..؟

ـ لا نستطيع التحدث هنا.

ـ نتحدث؟ ليس هناك ما يقال! وأنا لن أذهب معك إلى ديرهام!

ـ أين تعيشين إذن؟

وقاد سيارته في الشارع الرئيسي المكتظ.

منعتها الكبرياء من دعوته إلى شقتها المفروشة المتواضعة الأثاث...

www.elromancia.com

وقالت ساخرة: «هه!».

كما أبت أن يعرف أنها لم تحقق نجاحاً يذكر منذ تركته.

كلمة «هه!» كانت آخر ما قالته حتى وصلا إلى ديرهام.. بدا طوال الطريق مشغول الفكر. ما الذي يريده؟ أيريد أن يخبرها بأنه تمكن من ضمّ الشركة وإن فترة الخطوبة قد انتهت حسب اتفاقهما؟ لا داعي لأن يزعج نفسه فهي تعرف ذلك.

حين وصلا أمام بيته أرادت أن تطلب منه أن يقول ما يريده هنا في السيارة، لكن حين استدار ليفتح لها الباب، غيرت رأيها. نظرة واحدة إلى ملامحه كانت كافية لتعلم أن مزاجه لا يتحمل الجدل. كما كانت هي تشعر بوهن غريب... أرادت أن ترى مرة أخرى ذلك المكان الذي عاشت فيه بضعة أيام من السعادة.

خرجت من السيارة بصمت، وبصمت دخلت المبنى مع جيرڤيه.

قال معلقاً، وهو يضع مفتاحه في قفل باب الشقة: «تبدين أكثر نحولاً».

ـ وأنت أيضاً لم يزد وزنك!

فجأة، وكما كان يحدث دائماً، أنارت عيني جيرڤيه شرارة مرح، وفي الوقت عينه أيضاً استعادت روحها المرحة، وأرادت أن تضحك.

نجحت في السيطرة على نفسها.. وتراجع جيرڤيه ليدعها تدخل.. نظرت إليه لترى أن تعابير وجهه عادت إلى الصرامة، وخبا وميض عينيه، وهو يسير إلى غرفة الجلوس.

قالت معلقة: «كانت السيدة أندرهيل هنا اليوم».

سألها: «هل آخذ عنك سترتك؟».

ردت: «لا.. شكراً».

وأملت أن يوحي ردها بأنها لن تبقى طويلاً.

سأل: «أتريدين شراباً؟».

استغربت بيڤن توتره هذا، إذ لم يكن من عادته التحفظ في كلامه هكذا.. فجيرڤيه الذي تعرفه، لن ينتظر أكثر.

بدأت تسخر.. جيرڤيه متوتر الأعصاب؟ لا تكوني سخيفة! هي من تشعر بالتوتر لا هو... لأنها لا تدري على ماذا سيحاسبها.

لم تعد أعصابها تقوى على الاحتمال فقالت:

ـ أهنئك على ضم الشركة الجديدة!

ولماذا تظن أنه سيهاجمها بحق الله؟ فهي لم تفعل ما يمكن أن يغضبه!

ـ هل قرأت الخبر؟

ـ كان منشوراً في الصحف.

كان يحدق فيها بطريقة جعلتها تقول باندفاع غريزي:

ـ الآن بعد أن انتهت مفاوضات الشراء، لا داعي لكي تستمر في ادعاء الخطوبة.

نظر في أعماق عينيها ثم قال آمراً: «اجلسي».

وتقدم منها خطوة.. فتراجعت خطوة لتجلس على الأريكة الوثيرة المريحة. لم تعد متأكدة من شعورها وهو ينظر إليها من فوق. وقال ببرودة:

ـ لست موافقاً على ما تقولينه بيڤن.. لماذا نلغي الخطوبة الآن؟

ـ لأن السبب الرئيسي لعقدها كان ضغط عائلتك المستمر عليك وحاجتك لبعض الصفاء لتتمكن من إنجاز تلك الصفقة الهامة!

ـ وهل هذا ما قلته؟

فجأة أصبحت الذكريات المتعلقة بهذ الكلام ضبابية:

ـ لا أذكر ما قلته بالتحديد... لكن تلك كانت الفكرة.

تقدم جيرڤيه ليجلس في الطرف الآخر من الأريكة. نظر إليها، وهو يقول معلقاً ببرود:

ـ يبدو لي، يا بيڤن الصغيرة، أننا نخدع أحدنا الآخر.

أوه.. يا الله! وكأنما «بيقن الصغيرة» ليست ضعيفة بما يكفي..
تماسكت لئلا تصاب بالذعر. ما الذي اكتشفه؟ ماذا يعرف؟
ـ وهل خدعتني؟
الطريقة الوحيدة للخروج من المأزق الذي دفعها إليه، هو اللعب على الكلام.
قال: «هذا ما أخشاه».
بدا تعباً ومتململاً وكأنه نادم على جلوسه، وكأنه بحاجة لبعض الحركة، ولكنه بقي جالساً ليتابع:
ـ عائلتي هي نقطة ضعف، وأنا أفعل الكثير لأجلهم، ولكنني لا أريد الزواج لمجرد إرضائهم.. أعترف أنهم يزعجونني كثيراً أحياناً.. لكنني استمتعت بالضغط، في الواقع.. ويبدو أن لدي الاستعداد لأن أتحمله وأعتاد عليه.
ـ ل.. لكن.. قلت..
وكانت مجفلة تنظر إليه بذهول.
ـ قلت إنني لا أريد أن يلهيني شيء عن عملي.. أليس هذا ما قلته؟
صمت قليلاً، ثم تابع ببطء، وكأنه يتلمس طريقه:
ـ لكن ذلك حصل على أية حال.
تذكرت: «حين اقتحمت عليك روزيلاند المكتب ذلك اليوم؟».
هز رأسه نفياً: «بل حين دخلت أنت إلى حياتي بيقن بيمبرتون».
اضطرب قلبها بين ضلوعها وهي تسمعه يكمل:
ـ لقد تسببت لي بالكثير من المشاكل، بطريقة أو أخرى، منذ يوم الجمعة ذاك.. ومنذ ثمانية أسابيع.
وكأنه كان يعد الأيام والليالي:
ـ وحين تقدمت مني في شارع ديرهام الرئيسي، ووجدت نفسي أنظر إلى أجمل عينين رأيتهما في حياتي.

تلعثمت: «أوه!.. كنت لطيفاً معي».
كرر: «لطيف! كنت قد عملت إلى وقت متأخر ذلك الأسبوع وقررت أن أعطي مساعدتي عطلة بعد أن أنهي العمل باكراً يوم الجمعة.. وخططت لأن أتابع العمل وحدي في المنزل.. لكنني مررت بديرهام، وتوقفت لأشتري صحيفة المساء».
ـ لكنك لم تفعل.
كانت ذكرياتها عن تلك الأمسية مشوشة لكنها تذكرت بوضوح أن جيرفيه كان قد أوقف سيارته لتوّه، حين تقدمت إليه.. وأكملت:
ـ حسن جداً.. إلا إذا كنت قد توقفت في مكان آخر.
هز جيرفيه رأسه:
ـ كانت ديرهام أول محطة لي.. وكما قلت، لم أشتر الصحيفة.. كنت على وشك أن أشتريها، حين لاحظت أنني توقفت أمام وكالة سفر... تساءلت للحظة عما أذا كنت قادراً على الاختفاء، ما إذا كنت أستطيع أن أختفي في رحلة إلى الخارج، دون أن أقول لعائلتي أين سأذهب..
ـ وهل كانوا يضغطون عليك بموضوع الزواج ذلك الأسبوع؟
وأدركت أنها تفهمه حين ابتسم.
ـ دعينا نقول إن حملتهم ازدادت ضراوة.. ولم تعد تثير فيّ إحساساً بالتسلية. على أي حال، استبعدت فكرة السفر إلى الخارج، لأنني كنت أعرف أن لدي عملاً كثيراً، ولن أستطيع أخذ عطلة.. حين..
صمت لينظر إليها بحرارة، نظرة جعلت قلبها ينفعل بطريقة غريبة.
ـ.. وجدتك هناك أمامي بعينيك الجميلتين.. في الواقع كنت أنت هناك، امرأة جميلة.. جميلة..
يا إلهي! وفغرت فاها وهي تتنفس بصعوبة. وأكمل وهو ينظر إلى ثغرها المفتوح، ثم إلى عينيها مجدداً.

ـ لكنك كنت مريضة بشكل واضح.

حاولت أن ترد بخفة: «لم أكن أشعر بالعافية».

لم يتوقف جيرڤيه عند تعليقها:

ـ بل كنت مريضة.. وبحاجة ماسة إلى العناية.

قالت بهدوء: «ففتحت سيارتك وأجلستني فيها».

ـ ثم اكتشفت أنك ترفضين أن أوصلك إلى بيتك.

ـ أنا آسفة.. لكنك كنت لطيفاً وأخذتني إلى شقتك.

ـ لم أكن أعرف شيئاً عن مسألة اللطف هذه.. ولقد دهشت أنا كذلك! لكنني لم أستطع أن أتركك على الرصيف.. وأنت على تلك الحالة التي كنت عليها، لم أستطع أخذك إلى مطعم.. فما كنت قد أكلت شيئاً ذلك اليوم.

سألت بلهجة اعتذار:

ـ أوه.. يا إلهي.. هل تسببت لك بكثير من المتاعب؟

ساد الصمت لحظات طويلة واستغربت بيڤن جموده. ثم، وبهدوء شديد، لكن بصوت مسموع، قال:

ـ تمتعت بوجودك معي.

استبد بها شعور بالإثارة ولمحت في عينيه نظرة دافئة نحوها. لكنها كذبت ما رأته وحاولت أن تحافظ على أعصابها.. قالت متسرعة:

ـ نعم.. حسن جداً.. كان لطفاً منك أن تستضيفني هنا.

نظر إليها بطريقة جعلتها تقلق.. وكأنه يرى توترها، ويتساءل عن السبب.

وجيرڤيه هو جرڤيه كما تعرفه.. إنه يريد أن يعرف كل شيء، إلا أنه لم يسألها بل قال:

ـ قلت إنني كنت لطيفاً ليلة الجمعة تلك.. وأنا حقاً لا أفهم السبب. لم أفهم سبب تصرفي إلا بعد وقت طويل.

وعوض أن يفسّر كلامه تابع:

ـ قمت لأتفقدك مرات عديدة ليلة الجمعة.

ـ أذكر أنني رأيتك مرة.

ـ وأنا أذكر أنني فكرت أن أنقلك إلى منزل العائلة لترعاك هناك أمي.

أجفلها هذا الكلام، ورددت: «أمك؟».

ـ من كان سيرعاك لو عدت إلى منزلك، إلى تلك المرأة؟

ـ هذا صحيح. لكنك قررت ألا تأخذني إلى أمك.

ـ كانت عائلتي تضغط علي لأتزوج. ولو حملتك إليهم ملفوفة ببطانيات لتأكدوا من أنك مميزة بنظري.

ـ أردت أن تتجنب ضغطهم...

سبق أن قال لها جيرڤيه إنه بدأ يتمتع بضغطهم عليه وهذا يثير استغرابها... ورأته يهز رأسه وكأنه ينتظر أن تحل هذا اللغز بنفسها.

ـ هذا صحيح.. كان هذا العذر الذي تذرعت به لئلا آخذك إليهم «زائفاً».

ـ زائفاً؟

ـ أقنعت نفسي أنني لا أريد أن آخذك إلى هناك كي لا أعطيهم ذريعة للضغط علي.

فجأة تحرك وتقدم ليجلس إلى جانبها، مما جعل دقات قلبها تزداد إلى درجة مرعبة. ثم نظر في عمق عينيها البنيتين المضطربتين، وقال معترفاً:

ـ لكن فيما بعد عزيزتي، أدركت أنني أريد أن أعتني بك بنفسي ولا أحد غيري.

علقت أنفاس بيڤن في حنجرتها.. ولم تستطع أن تتحرك... ترجّع صدى كلمة «عزيزتي» في أذنيها، ولم تعد واثقة من أي شيء.. وسألت مصدومة:

ـ أردت رعايتي بنفسك؟ لكنك أخذتني إلى بيدفورد تشاير.. فيما

بعد... أعني.. أنت.. نحن..

اعترف: «بالضبط!».

ربما اعتقد أنه إن أمسك يدها سيجعل مشاعرها تهدأ لكنه مخطىء. فما أن لامس يدها حتى شعرت أنها أصبحت فوق السحاب. وتابع بهدوء:

ـ لم أكن أرعاك يومها.. أليس كذلك؟ لقد تركتني لتعودي إلى آبي تشيني، وأنا..

صمت فجأة.. ثم أكمل مشعلاً ما لم يشتعل بعد من أحاسيسها:

ـ.. وأنا.. أردت رؤيتك مرة أخرى.

لقد أراد أن يراها مرة أخرى؟ ماذا يقول؟ ابتلعت بيڤن ريقها يائسة، وتمكنت من أن تقول:

ـ لكن.. والديك.. أرادا.. أن يلتقيا بي.

اعترف: «خدعتك.. كذبت عليك».

اتسعت عيناها البنيتان الحلوتان: «كذبت؟».

ـ ما كان والداي يتوقعان زيارتي في نهاية الأسبوع ذاك.. حين حصلت على موافقتك اتصلت بهما لأقول إننا سنصل.

أحست فجأة أن كلامه يخفي الكثير. ما الذي يدفع جيرڤيه للكذب؟ ربما أراد فعلاً أن يراها مرة أخرى. ولكن لماذا؟ لم تكن بيڤن تعلم لكنها لم تعد تريد مغادرة شقة جيرڤيه بسرعة، بل أرادت أن تبقى وتسمع المزيد.

صاحت بعجز: «أوه.. جيرڤيه! لماذا؟ لماذا كذبت؟».

للحظات لم يرد... تعلقت عيونهما ببعضها بعضاً.. ثم، وكأنه يقرأ ما في عينيها حتى يتخذ قراراً، تمتم:

ـ الأمر بسيط.. اشتقت إليك.

ولم تستطع إبعاد نظرها عنه. أفلتت دقات قلبها من سيطرتها، وأرادت معرفة المزيد.

ـ اشتقت إلي؟

ـ اشتقت إليك.. لم أستطع تحمل فكرة قضاء نهاية الأسبوع دون رؤيتك.

ازدادت توهجاً وتمتمت: «أوه.. هكذا إذن، فهمت».

لكنها لم تفهم شيئاً، ليس حقاً. وأخذت تتكلم لاكتساب الوقت وهي تحاول ألا تفهم ما يقوله فهماً خاطئاً.

ـ هكذا، قررت، دون استشارة أبويك أولاً، أن تتصل بي وتدعوني إلى منزلهما لقضاء نهاية الأسبوع.

ثم وجدت نفسها مشوّشة مرة أخرى حين هز رأسه:

ـ حين اتصلت بك، منذ خمسة أسابيع، كنت أنوي أن أدعوك إلى المسرح.

صاحت: «إلى المسرح؟ لا أذكر أنك قلت شيئاً عن المسرح».

ـ لأنني لم أقل شيئاً.. والواقع أنني لم أستطع أن أقول شيئاً، حتى قلت لي إنك لا تعتبرين فكرة لقائنا فكرة جيدة. ولم أستطع تحمل هذا عزيزتي.

لانت نظرتها لسماع كلمة «عزيزتي» مرة أخرى وأكمل:

ـ أحسست بالضعف فجأة وأردت إخفاء هذا. كان علي اختراع شيء يضمن أن أراك.. على ألا يفضح ما كنت أشعر به.

تنفست بصعوبة: «أوه... كنت.. ضعيفاً».

ـ لم يحدث لي هذا من قبل.. لكن كل ما اختبرته في الأسابيع الماضية غريب علي.

تمتمت مجدداً: «حقاً؟».

لكن، أمام النظرة الدافئة في عينيه وجدت نفسها تتمسك بيديه بشدة.. أم لعله هو الذي كان يتمسك بيديها بشدة؟.. كانت مشوشة جداً، ولم تعرف أيهما الصحيح.

لكن، كانت هي قطعاً التي تتمسك بيديه وهو يعترف بصوت ناعم:

ـ حين تعلمت الاهتمام بأمرك بيڤن، غلبتني.

ـ اهتمام؟

واخترقت كلمته دماغها، وقلبها.

ـ أوه أجل.. اهتمام.. حتى وأنا مصمم على عدم فهم هذا. أعتقد أنني بدأت أهتم لأمرك، لحظة رأيتك.

انفرجت شفتاها في شهقة عجب.. خلّفت عبارة «أهتم لأمرك» رنيناً موسيقياً جميلاً في أذنيها.. لكن، وهي تحاول البقاء ثابتة، كان قلبها يغني. وقالت: «حقاً؟».

ـ حقاً.

تركت إحدى يديه يديها، لترفع خصلة شعر شقراء كرزية عن جبهتها.. وأكمل: «مع أنني لن أدهش إن قلت إنك لم تشعري بهذا. لأنني بكل تأكيد، لم أكن أرى أمامي.. لكنني الآن، ولأنني أصبحت أعرف، لم يعد يدهشني كيف حملتك إلى هنا تلك الليلة التي كنت فيها بحالة انهيار.

ـ لم تعد دهشاً؟

ـ ليس الآن وقد أدركت ما لم أستطع يومها فهمه! قدرنا أن نلتقي، أنا وأنت.

سألت بما استطاعت أن تحصل عليه من صوت: «أتعتقد هذا؟».

ـ بل أعرف هذا.. هل تفهمين ما أقول؟

ابتلعت بيڤن ريقها بقوة، فأعصابها ثائرة وهي تخشى أن تخطىء الفهم. ثم قال ما بدّد أي وهم في أعماقها، إذ همس بصوت أجش:

ـ أحبك بيڤن بيمبرتون.

تنهدت: «أوه.. جيرڤيه!».

وأحست بقبضته تشتد على يديها.

سأل بلهفة: «أهذا كل شيء؟».

ـ وهل تريد مني أن أقول لك...

ـ بكل تأكيد.

ـ كنت خائفة من أن تعرف...

ـ لم أعرف شيئاً.. لذا قولي لي قبل أن تدفعيني إلى الجنون.

صاحت: «أوه جيرڤيه.. أحبك..!».

وضمها بين ذراعيه.

لم يقبلها، لكن، استولت عليه رغبة جامحة في أن يضمها إليه، وأبقاها ملتصقة به.

ـ أوه.. يا حلوتي.. اشتقت إليك كثيراً.. اشتقت لأكون قربك.. وأحياناً أحسست باليأس لأنني لم أستطع أن أجدك.

ـ وهل كنت تبحث عني؟

ـ أبحث عنك؟ لقد فتشت كل المحلات في ديرهام لعلك تعملين في واحد منها... وكنت على اتصال دائم بشركة التسويق التي عملت فيها في إلينغتون في حال تقدمت للعمل من جديد.. ثم، اليوم، وبعد أن شعرت أنني أكاد أجن في البحث عنك، بدأت البحث في إلينغتون.. ونادراً ما أفعل هذا، لكنني تذكرت أن عليّ شراء بطاقة معايدة لعيد ميلاد أخي.. ولم أستطع تصديق عينيّ حين أوقفت سيارتي، وتطلعت في الشارع، واعتقدت أنني رأيتك.

ـ ألم تصدق أنك تراني؟

ـ كنت أراك في نساء كثيرات... ثم توقفت أمام وكالة السفر.. ورفعت رأسك بالطريقة التي أعرفها.. وعرفت.. وخشية أن تختفي قبل أن أصل إليك، لم أركض بهذه السرعة طوال حياتي.

تنفست: «أوه».

وعرفت أنه عرف الألم عينه الذي عرفته.. أحست بدفء عناقه ولفت ذراعيها حول عنقه، ووضعت رأسها على صدره.

لم تدرك بيڤن كم من الوقت مضى وهما هكذا يتمتعان باكتشاف حبهما. لكن، بعد قليل، تراجع جيرڤيه ببطء. وقال بصوت منخفض:

ـ أعطني سترتك إلا إذا كنت مستعجلة على الرحيل.. وأنا أحذرك أنني لن أدعك تخرجين من شقتي قبل أن أعرف أين يمكن أن أجدك.. لن أدعك تغربين عن نظري.

خلعت سترتها.. ثم وجدت أنه لا ينوي كذلك أن يتركها تغيب عن نظره، لأنه رمى السترة على كرسي آخر، ثم عاد يحتضنها بين ذراعيه.

ـ هكذا أفضل.. الآن أصبحت أقرب إليك. بدأت أصدق فعلاً أنني لست أحلم بكل هذا.

ـ وأنا أشعر بهذا كذلك.

تنهّد قائلاً: «كانت الحياة مملة جداً!».

ـ وبالنسبة لي كذلك!

ـ أوه.. ما أروع.. أن تكوني هنا..

وخذلته الكلمات، وفي تلك اللحظة العاطفية اتجهت كل أحاسيسها نحوه... وقالت هامسة: «أحبك».

ساد صمت دام عدة دقائق. وأخذت الحواجز تتساقط... وتزداد الثقة.

قبّل عينيها، ثم تراجع لينظر إليها وذابت بيڤن حناناً وغرقت في بحر لا قرار له.

ـ أوه بيڤن.. يا فتاتي.. أحبك حباً يستنفد طاقتي.

تنهدت: «مع ذلك، قلت إنك كنت مصمماً.. ألا تفهم مشاعرك نحوي؟».

ـ لكن هذا لم يدم كثيراً! كل الدلائل كانت موجودة.. منذ اليوم الأول تقريباً.

ـ أية دلائل؟

وأحبته أكثر حين أحنى رأسه يقبل أنفها والابتسامة التي تحبها على فمه.

ـ مثل مجيئي بك إلى هنا.. ثم إحساسي أنني معجب بك.. وغضبي عليك لأنك لم تقولي لي إن روزيلاند زارت الشقة في اليوم الذي سبق...

ـ كان هذا يوم الإثنين الذي اتصلت فيه بك في المكتب.

ـ وكان يوم الإثنين الذي قلت لي فيه، ولو بأدب، أن أذهب إلى الجحيم.. وكنت على حق.. ثم اكتشفت أنني لا أريد منك أن تتركي الشقة.

ـ حقاً؟

ـ حقاً.. ليس هناك المزيد من الخداع، أعدك بهذا. ثم في الليلة التالية، لم أكتشف فقط أنني أفكر فيك وأنا في طريق عودتي من المكتب.. وأنني أستمتع بالتفكير بوجودك في المنزل لأعود إليك وكأننا عائلة.. بل حتى كدت أقول إنني سأتزوجك، دون الالتفات إلى شيء. وأذكر أنني صعقت حين رفضت طلبي، وسامحيني حبي! فقد كان هناك أكثر من امرأة مستعدة لاستغلال هذه الفرصة.. لكن ليس أنت. لقد رفضتني دون تردد.

تمتمت: «لم تكن جاداً على أي حال؟».

ـ جاداً أم لا.. أحسست فجأة أن كل شيء يتغير.

ـ يتغير؟

ـ حتى تلك اللحظات، كنت مجرد امرأة شابة جميلة أكثر مما تدرك.. لكن فجأة، أخذت تتعافين وبدأت عيناك تلمعان.. واستحلت امرأة أخرى.

أفلتت ابتسامة منها، وسألت: «حقاً؟».

ـ حقاً.. أوه محبوبتي الحلوة.. كان يجب أن أفهم حين حملت إلى غرفتك في الصباح التالي فنجان الشاي. ورأيت كم أنت جميلة وأنت نائمة.. وعندئذ أحسست أن قلبي ملك يديك.

تنهدت: «أوه جيرڤيه! ألم يكن هذا ذلك الصباح حين استيقظت وذكرتك بما يجب أن تشتري؟».

ـ بذاته.. وضحكنا معاً، وكان علي أن أخرج بسرعة لأنني بدأت أستمتع بمثل هذه البداية ليومي.

ابتسمت: «وأنا مسرورة لهذا».

ـ أيتها المرأة الشريرة! ماذا كنا نقول؟

ـ كنت تقول لي أيتها المرأة الشريرة.

قال بصوت أجش:

ـ وأنت هكذا، هل لديك فكرة عمّا يمكنك أن تفعليه بي يا امرأة؟

ـ إذا كان يشبه ما تفعله أنت بي إذاً... واو!

وأحبته أكثر حينما ضحك ثم قال:

ـ أنت على حق. أحسست بذلك في أول مرة عانقتك فيها حين واجهتني بعذر وجيه لأتوقف، وقعت حينها في حبك.

ـ ساعتها؟

ـ ساعتها، لكنني لم أكن مستعداً لتقبل الفكرة بل كنت وقتذاك أقاوم لأبقيك بعيدة عني.

وابتسم مرة أخرى ليكمل:

ـ كان يجب أن أدرك في تلك اللحظة يا امرأتي الرائعة، أنني وقعت في مشكلة. مع ذلك، حتى حين عجزت عن تحاشي التفكير فيك، أمضيت أكثر الليالي قلقاً في حياتي، لكني تماسكت بعناد. وخفت في الصباح التالي، أن آتيك بفنجان شاي فأرى كم أنت جميلة وأنت نائمة، وأستسلم

لاندفاعي فأعانقك. عندها لم أكن أعلم أن ما في داخلي أكثر من مجرد رغبة عابرة.

أصبحت نظرته جادّة صارمة وهو يضيف:

ـ ولم أعرف حين حرمت نفسي من رؤيتك ذلك الصباح، أنني سأعود إلى المنزل لأرى أنك رحلت.

قالت له بيڤن: «لم أستطع البقاء فقد أدركت وأنا بين ذراعيك في الليلة السابقة بأنني أحببتك، و..».

قاطعها: «ولقد عرفت منذ يوم الخميس ذاك!».

صاحت ترد ممازحة: «وهل تظن أنني كنت سأتصرف هكذا مع شخص لا أحبه؟».

ـ أتعرفين؟ أظن أنني سأنهي عملي معك.

وانفجرت بيڤن ضاحكة ثم تجهمت لتتابع:

ـ على أي حال كان علي أن أذهب. أعرف أن أيرين ما جاءت إلى هنا إلا وهي تفكّر في المال. وتأكدت يومذاك، أن علي حمايتك من طمعها.

ـ أنت.. تحميني؟ أوه بيڤن، بيڤن، حبي الجميل. أتظنين وأنا قادر على التعامل مع طمع أصحاب الشركات أنني لن أستطيع أن أتعامل مع طمع تلك المرأة التي لا أهتم بها أبداً؟

تأوهت: «أوه جيرڤيه لم أكن أريد أن أرحل».

ـ أحقاً يا حبي؟

ـ حقاً، كنت سعيدة هنا.

أظهرت تعابير وجهه فرحه لهذا الاعتراف. وما هي إلا لحظة حتى تعانقا مجدداً. ثم جعل جيرڤيه مسافة بينهما وسأل:

ـ إذاً لماذا حين جئت أبحث عنك كنت..؟

ـ وهل جئت خصيصاً تبحث عني؟ ظننت أن لك عملاً هناك!

ـ كذبت! لم أصدق أنك تركتني. ثم لم أستطع أن أبقى مكاني وأقلق

عليك. لهذا السبب رفضت دعوة أيرين للدخول وانتظار ابنة زوجها العزيزة. أوقفت السيارة حيث لا يمكن لأحد أن يراني وأنا أنتظر عودتك.

شهقت:

ـ وهل كنت تنتظرني؟

ـ وعرفت الغيرة التي تلوي القلوب!

ـ الغيرة، أنت غرت؟

ـ لقد دمرتني!

صمت قليلاً ثم عاد ليسأل:

ـ إذاً لماذا وأنت تحبينني عانقت أوليفر؟

ـ لم أعانقه بل هو الذي عانقني.

ـ لكنك سمحت له.

نظرت إليه بيقن بذهول! كان حقاً يشعر بالغيرة وقالت له:

ـ كانت تلك المرة الأولى والأخيرة. ودعته تلك الليلة... وقلت له إنني أحبك.

جاء دور جيرڤيه ليُذهل: «وهل فعلت هذا؟!».

هزت رأسها إيجاباً ثم اعترفت:

ـ أوه جيرڤيه، لقد سألتني يومذاك عما إذا كنت بخير. وقلت لك أجل... لكنني أردت الذهاب معك... كان فراقك يحطم قلبي!

صاح: «أوه.. حبيبتي!».

وشدها إلى قلبه لعدة دقائق. ثم تابع:

ـ ربما تشعرين بالراحة إن أخبرتك حبيبتي أنني كنت مشتاقاً إليك كثيراً... كان عليّ أن أتصل بك بعد أيام!

ـ كان ذلك يوم الثلاثاء التالي! قرّرت أنني أحتاج إلى تغذية ودعوتني للعشاء.

ـ كنت أنوي أن أطلب منك أن تخرجي معي. فقد اكتشفت يا حبي أن تعلقي بك واشتياقي إليك ليساً أمراً طبيعياً.

لم تكن تعلم أنه اشتاق إليها هكذا، ولم تستطع سوى التحديق فيه بذهول لأنه حين اتصل بها يوم الثلاثاء كان في نيته أن يطلب منها الخروج معه. صاحت مجدداً وقد تذكرت:

ـ أوه جرڤيه، لقد ناديتني (حبيبتي) يوم الأربعاء ذاك.

ابتسم: «كان يومذاك خرجت عن طوري. يجب أن تعرفي يا حبيبتي، أنني لست معتاداً أن أنادي أية امرأة بحبيبتي. وكنت مسروراً جداً لرؤيتك، لذا أفلتت الكلمة مني هكذا.

نظرت إليه بعجب، ثم أحست بضرورة أن تعترف:

ـ وأنا كنت سعيدة جداً بك تلك الليلة.

قال بهدوء: «وأنا كذلك. لا عجب إني وجدتك جميلة مثيرة فعانقتك كما ولا عجب إن لم أستطع بعد أن أعدتك إلى آبي تشيني أن أخرجك من رأسي!

ـ وهل حاولت؟

ـ لم أستطع ذلك وعائلتي تذكر اسمك كل يوم.

مازحته بيقن: «لكنك أخرجت اسمي من رأسك».

ضحك: «نعم لأسبوع.. ثم اتصلت وأنا أنوي أن أطلب منك الذهاب معي إلى المسرح.. وتعرفين الباقي. ذهبت إليك السبت لآخذك إلى منزل العائلة. ثم اكتشفت يوم الأحد ما كان خطبي».

سألت: «وأدركت أنك تحبني؟».

ابتسم: «كان هذا حين سألتك إذا كنت تودين الزواج بشخص آخر فصحت بي «أجل» وبدأت الغيرة تنهشني.. وعرفت، حين قلت إن أوليفر طلب منك الزواج أنني أحبك، وأن لا أحد آخر قد يحصل عليك إذا استطعت منع ذلك.. ولهذا قلت لك أن تتزوجيه».

www.elromancia.com

همست بيڤن: «أوه حبيبي. طريق العودة كانت فظيعة أليس كذلك؟».

ـ لا تذكريني! لم أكن يوماً قلقاً مثل ذلك اليوم في حياتي... أحبك، وأغار عليك. مع ذلك أنا فخور لأنك لم تعرفي ماذا كان يحدث لي.

ـ أوه حبيبي العزيز هل كان الأمر بهذا السوء؟

ـ صدقي! لم أنم تلك الليلة وأفكاري تدور وتدور. لا يعقل أنك تنوين الزواج برجل آخر! تذكرت كل ما أعرفه عنك، وتأكدت أنك ما كنت لترافقيني لزيارة والديّ وتبقين معي ليلة هناك لو كنت تحبين رجلاً آخر.

ـ وبدأت تدرك أنني أحبك!

ـ لم أفهم ذلك بسهولة.

أخذ يدها وطبع عليها قبلة ناعمة:

ـ لكنني أعترف بأن قلبي بدأ يخفق بشدة حين بدأتَ أتساءل لماذا. إذا كنت لا تحبين ذلك اللعين أوليڤر فلماذا قلتِ إنك تنوين الزواج به... هل من المعقول أنك تبحثين عن غطاء للتمويه؟

سألت: «وماذا قررت؟».

ـ لم تكن حالتي تسمح باتخاذ قرار حكيم. صحيح أنني تساءلت أولاً لماذا تحتاجين إلى الغطاء، لكنني أدركت في ما بعد أن هذا ما أفعله تماماً. أحبك وأدعي العكس لذلك قلت لك: «تزوجيه واذهبي إلى الجحيم» وتجرأت أن أسأل نفسي: أيعقل أن تكوني مغرمة بي كما أنا بك؟ وما إن حل فجر يوم الإثنين حتى عرفت أن عليّ أن أراك وأكلمك... خشيت أن ترفضي مقابلتي بعد الطريقة التي افترقنا بها. وبعيد الظهر كدت أفقد عقلي فتركت المكتب باكراً وذهبت مباشرة إلى آبي تشيني.

ـ أوه حبيبي... وقالت لك أيرين إنني رحلت؟

ـ لم أصدق! لم يكن لك عنوان! بدأت أجن خاصة حين لم يعرف

أوليڤر تيلر أين يمكن أن تكوني.

ـ وهل اتصلت بأوليڤر؟

ـ قالت لي زوجة أبيك أين يمكن أن أجده وذهبت لأراه. والخبر الوحيد الذي أفرحني هو إنك غير مرتبطة به وإلا لعرف أين أنت.

أفلتت منه تنهيدة من القلب وأكمل:

ـ هل ستقولين لي يا حبيبتي أين كنت وماذا كنت تفعلين خلال هذه الأسابيع التي كدت فيهاأجن في محاولة العثور عليك؟

كان ردها الأول قبلة طبعتها على خده. ثم وهو يبتسم والاستحسان واضح في عينيه، تابعت تقول:

ـ ما كنت أفعله هو التفتيش عن عمل لي وأنا أعمل الآن في شركة تأمين. لم أستطع أن أعيش في فندق، فوجدت لنفسي مكاناً أقيم فيه.

ـ هل وجدت شقة؟

ـ قل غرفة!

وضحكت.. لا شيء يبدو مهماً بعد أن عرفت أن جيرڤيه يحبها واعترفت بمرح:

ـ أستأجر غرفة مزرية مفروشة لأنام فيها.

تأوه جيرڤيه: «أوه حبيبتي».

ـ لكن في وقت ما في هذا المساء كنت سأذهب لألقي نظرة على شقة فعلية...

شيء ما في تعبير وجهه جعلها تتوقف وتسأل: «ماذا...؟».

قاطعها جيرڤيه:

ـ إذا أردت أن تنتقلي إلى شقة أخرى أوافقك. لكني أتمنى حقاً أن تضعي شقتي في رأس القائمة.

جمدت بيڤن وأحست بجفاف فمها ثم سألت بصوت أجش: «ماذا.. تقول؟».

ـ أقول إنك يا حبيبتي بيقين مميزة. وأنا أحبك وأريد أن أقضي بقية حياتي في رعايتك.

طبع بحنان قبلة على عينيها ثم تراجع وتابع:

ـ وأقول إن أيامي تخلو من البهجة ونور الشمس إن لم تكوني إلى جانبي.. وإن هذا المكان فارغ بارد منذ خرجت منه.

ـ أوه جيرڤيه!

ـ وأقول كذلك يا حبيبتي الجميلة، إن هناك شقة جاهزة تنتظرك حين تكونين مستعدة.

أمسك وجهها بيديه وأدناه منه وهو ينظر في أعماق عينيها:

ـ لم نعد بحاجة للخطوبة. أنا أحتاج وبكل إلحاح، أن أتزوجك في القريب العاجل.

همست: «تريد الزواج مني؟».

ـ أوه.. من كل قلبي لو قبلت بيڤن حبيبتي. سيقام زفافنا في شهر تموز.. ولكن ليس قبل هذا التاريخ.

نظرت إليه! تحبه وكل هذا الحب يذهلها. من الواضح وهو يقول لها إنه يريد الزواج بها بعد عيد مولده إنه يحبها كثيراً ولا يأبه إن خسر هو وعائلته إرثهم... إنه مستعد للانتظار حتى بعد عيد ميلاده ليتزوجها.

همست وقلبها يلين: «أوه جيرڤيه! لا داعي لأن ننتظر كل هذا الوقت!».

* * *